صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
ـصـ
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد التاسع «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٥٢ — ١٥ مايو سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العـــدد

شروح وحواشى

فى المرأة أيضا

كتبنا فى العدد السابع كلمة عن العيد جاء فيها ان غياب المرأة عن المجتمع الانسانى جر عليه فيما جر الجفاء والجفاف والسآمة والفوضى . فوقع هـذا القول من الجنسين البارز والمستتر موقع التسليم والرضا . ولكن قليلا من صالحى الاخوان لايزالون يرون اقصاء المرأة عن الحياة العامة امراً من أوامر الدين ، وقاعدة من قواعد الخلق ، فكتبوا الينا والى بعض الصحف يفندون هذا الرأى بحجج انتزعوها من احاديث الظنون ، وهواجس الخوف ، ومواضعات العرف

أما صلة الحجاب بالدين فقد فرغ من توهينها العلماء من امد طويل . وشديد على العقل ان يسلم بأن البدويات والقرويات ومعظم الحضريات — ومجموعهن يربى على تسعين فى كل مائة من جميع المسلمات — قد تعدين بسفورهن حدود الله منذ ظهر الاسلام ، ولم يأخذ على ايديهن امام ولا حاكم حتى اليوم

واما الاعتقاد بأن احتجاب المرأة هو الضمان الوحيد لحصانتها وعفتها فذلك افلاس للتربية ، وسوء ظن بالدين ، والقاء بالنفس الى الرذيلة !

فلو ان الفتاة وهي صغيرة فتحت عينها على القدوة الحسنة ، واذنها لصوت الواجب ، وقلبها لنور الله لوجدت من روحها القوى وضميرها النقى وزرا من الفتنة وعصمة من الغواية

فالتربية الصحيحة اذن هى الضمان الذى لا يضر معه سفور، ولا ينفع بدونه حجاب ، وهى وحدها السبيل المأمونة إلى الغاية التى قصدناها من تلك الكلمة ، ولا زلنا نعتقد اعتقادا لا اظل عليه للريب أن غاية الكمال الاجتماعى أن يكون الرجل فى كفة والمرأة فى كفة من ميزان المجتمع ، وتلك هى السنة التى فطرنا عليها الله ، والنظام الذى فرضته علينا الطبيعة، والواجب الذى يطلبه العدل، أما المجتمع الاعرج الاشل البليد الخشن ، فغير جدير بالسباق ولا باللحاق فى هذا العصر الطموح الطائر ، ومجتمعنا بغير المرأة هو ذلك المجتمع : فهو اعرج لانه يمشى على رجل واحدة ، اشل لانه يعمل بيد واحدة ، بليد لان حدة العواطف تنقصه . خشن لان لطافة الانوثة تعوزه

لاحظ مجلسا من مجالسنا احتشدت فيه الرجال شبابا وشيبا فماذا تجد ؟ تجد الحركات العنيفة ، والاصوات الناشزة ؟ والمناقشات الفجة ، والاحاديث الجريئة ؟ والكلمات المندية ، والذوق العامى ، والاحساس البطىء !

لاحظ هذا المجلس نفسه وقد حضرته امرأة — امرأة واحدة ليس غير — تجد الحركات تتزن ، والاصوات ترق ، والمناقشات تنتج ، والاحاديث تحتشم ، والكلمات تنتقى ، والذوق يسمو ، والاحساس يدق ، ذلك لان الرجل حريص بطبعه على ان يجمل سمته فى عين المرأة ، ويحسن صوته فى اذن المرأة ، ويسوغ رأيه فى عقل المرأة ، والاخلاق المكتسبة تبتدىء بالتطبع وتنتهى الى الطبع .

جهل الاولون وظيفة المرأة فلم يعرفوها الا متاعا وزينة ، لذلك اشتد تنافسهم فيها وتنازعهم عليها واستئثارهم بها حتى ضربوا دونها الحجب ، واحصوا عليها الانفاس ، وبشواحوا لها العيون ، فجعلوها بذلك قنية لا شريكة ، ومملوكة لا مليكة، وكان من جريرة ذلك عليها ان وهن جسمها لقلة العمل، وساء خلقها لفقد الحرية ، وضعف تفكيرها لترك التدبير ، وغفل ضميرها لعدم المسئولية ، فلم تفكر الا فى حللها وحليها ، ومدافعة الضرائر والجوارى عن نصيبها من زوجها... لقد كان الاسلاف ولا شك عذر فى اقصاء المرأة عن مكانها من المجتمع وخير أعذارهم انهم كانوا ينظرون الى المرأة نظرهم الى الكنز الثمين ، . وكان من عادتهم فى الكنوز ان يدفنوها فى الارض او يحفظوها فى الخزائن . ذلك الى ان عمرانهم لم يكن من السعة والتعقد بحيث يطلب نشاط الجنسين جميعا ، فحمل الرجال وحدهم اعباءه وقالوا :

كتب الموت والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

أما نحن فبأى عذر نعتذر وعلى أى حجة نعتمد ؟ ان الامم الراقية التى نعاصرها ونصارعها لم تزل تنظر الى المرأة نظر الاسلاف اليها ، ولكنها عرفت كيف تحتفظ بالكنوز وتستفيد منها ، فهى تعرضها اليوم فى المتاحف أداة علم ومتعة ، وفى المصارف رأس مال وقوة . وعمراننا قد زخر واستبحر حتى اعتدى فيه العمل على الراحة ، والتنافس على العدل ، والقوة على الحق، وتسلح الغربى فى جهاد الحياة بقوى الطبيعة فى السماء والارض، ونحن ما زال نصفنا اللطيف قاعداً عن الانتاج عاطلا من العمل

أنا لا أريد أن ندفع بفتاتنا فى أتون الحياة المستعر فتحمل الفأس، وترفع المطرقة ، وتقعد للبيع، وتجلس للحكم ، انما أريد أن تعطى حريتها الطبيعية فى حدود عملها الطبيعى ، وأن تعلم كيف تساهم فى شركة الزوجية ، فتربى الولد ، وتدبر البيت وتدير الاسرة ، وتعدل ميزانية الرجل، وتشعرأنها تعمل متضامنة مع بنات جنسها وبنى قومها لتكوين أمة متماسكة الاجزاء وثيقة البناء لا ينال من وحدتها شهوة من هوى ، ولا نزوة من جهل

ذلك ما قصدنا اليه فى تلك الكلمة الموجزة بسطناه اليوم بعض البسط لعل فيه جلاء لما اختلج فى بعض النفوس من هذا الموضوع

لعل فى الثرثرة فائدة !

تريد (العاصفة) البيروتية ان تضع الموازين القسط للأدباء ، فتقول فلان احسن وفلان أساء ، وهى لم توفق الى ادراك الغرض القريب من الكلمة الواضحة التى وجهناها فى عددنا الماضى اليها ! ! فقد قلنا لها ما خلاصته « ان محاولة التفريق بين أدباء العرب طيش ورعونة ، وان التعصب للبلد كالتعصب للقبيلة نزعة بدوية ونغمة مملولة » ففهمت من ذلك أن الرسالة تقول : « . . . ان الاشادة بفضل أدباء سورية ولبنان على النهضة الادبية فى مصر ضرب من الطيش ، وان الايجاز فى الكلام نعرة بدوية ونغمة مملولة »

فاذا كان هذا مبلغ فهم العاصفة للكلام، فقد أخطأنا حين مضضناها بالملام ، فان اللوم على العجز ظلم ، والمناقشة مع الخبث مهاترة !

احمد حسن الزيات

أدب القوة وأدب الضعف

للاستاذ أحمد أمين

يروون أن جماعة من آل الزبير كانوا يجتمعون إلى مغنية فيسمعون ويطربون . حتى إذا استخف الطرب أحدهم (وهو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير) قال فيها :

أحلف بالله يميناً ومن ... يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعة ... بايعتها ثم شققت العصا

فبلغت هذه الأبيات أبا جعفر المنصور فدعاه اليه وعنفه على قوله ، وعيره بضعف آل الزبير من هذه الناحية إلى أن قال له « حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات ، فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم ! »

وسخر المنصور من هذا الضرب من القول ، وهذا النوع من الحياة ، وقال إنما يعجبنى أن يحدى لى بهذه الأبيات :

إن قناتى لنبع لا يؤيسها
غمز الثقاف ولا دهن ولا نار
متى أجر خائفاً تأمن مسارحه
وإن أخف آمناً تقلق به الدار

هذه القصة تمثل نوعين من الأدب : فنوع يصح أن تسميه أدبا رقيقاً ، وإن كنت أشد صراحة فسمه أدبا ضعيفاً أو أدبا « مائعاً » كما يصح أن تسمى النوع الثانى أدبا قويا أو أدبا رصيناً .

ولست أعنى بالضعف أو القوة ضعف الأدب أو قوته من الناحية الفنية ، وإنما أعنى ضعفه وقوته من الناحية الخلقية والاجتماعية ، فقد يكون هذا النوع الذى أسميه ضعيفاً أو مائعاً فى منتهى الرقى من الناحية الفنية ، كما قد يكون الأدب القوى ليس قويا بالمقياس الفنى .

وهذه القصة تمثل لنا أيضاً أن الأدب المائع والقوى أثر من آثار الحوادث والظروف ، فقد فشل آل الزبير سياسياً ولم تتحقق مطامعهم . فاستولى عليهم اليأس وانصرفوا إلى اللهو وانسوا بالسماع وما اليه واحتقروا الخلافة حتى ليهمون أن يبايعوا جارية مغنية ، ويحدث عبد الله بن مصعب هذا عن نفسه فيقول : إذا غنتنى هذه الجارية .

حسبت أنى مالك جالس ... حفت به الأملاك والموكب
فلا أبالى واله الورى ... أشرق العالم أم غربوا

اما المنصور فنجح وأسس ملكا ضخما ، ووصل إلى هذا النجاح بقوته وحزمه ، لذلك كان أحب شعر اليه . شعر القوة والعظمة والحمية .

* * *

يخيل إلى أنا إذا ألقينا نظرة عامة على الأدب العربى من هذه الناحية رأينا الأدب الجاهلي قويا — كجلمود صخر حطه السيل من عل — حماسة قوية ، وفخر قوى ، بل وغزل قوى ، والأدب الاسلامى إلى آخر العهد الأموى ، أدب قوى ، فيه عزة الفاتح ، واعجاب الناجح ، ونشوة المنتصر ، وإن كان فيه نغمات ضعف فنغمات الحزب الذى غلب على أمره ، أو المحب الذى يئس فى حبه ، أما من عداهؤلاء ففخر واعجاب ، وهجاء فى أعلى درجات القوة

فاذا نحن انتقلنا إلى العصر العباسى رأينا العزة العربية تأخذ فى الضعف ، ورأينا الانهماك فى اللهو يبعث أدباً جميلا فى فنه ، ضعيفاً فى روحه ، فيقول رئيس المجددين فى عصره بشار بن برد :

قد عشت بين الريحان والراح والـ ... مزهر فى ظل مجلس حسن
وقد ملأت البلاد ما بين فغفو ... ر إلى القيروان فاليمن
شعرا تصلى له العواتق والـ ... ثيب صلاة الغواة للوثن

وتوالت النكبات على الشرق من ظلم وجور وسوء فى كل نظم الحياة الاجتماعية فكان الأدب العربى ظلا لهذه الحياة — كان أدباً ضعيفاً ، إن أنت حصرته وجدته بين باك على مصائب الدهر كأبى العلاء ، ومادح للولاة والأمراء والأغنياء . ومستهتر يصف استهتاره وصفاً أنيقاً بديعاً يرضى الفن ولا يرضى الروح ، وما اخترع من الفنون كان من هذا الضرب ، مقامات للبديع والحريرى بنيت على التسول والاستجداء ، وإفراط فى المجون ، أو إفراط فى التصوف ، وكلاهما فرار من حياة الجد — والنثر حمل

كل انواع الزينة من سجع وبديع ، فكان كالفتاة تسرف فى التجمل الصناعى لما شعرت بنقصان جمالها الطبيعى

ولم يظفر العالم العربى من العهد العباسى الا بأفراد قلائل منحوا من القوة فى أدبهم ما كان موضع الاعجاب كالمتنبى والبارودى ، وكلاهما كانت قوته صدى لحياته ، فالمتنبى فارس شجاع كان فى أكثر شعره يسجل وقائع سيف الدولة مع الروم، ويدون مظاهر القوة والفروسية ، والبارودى كذلك رب سيف وقلم ، فكان قلمه مسجلا لآثار سيفه ، وقليل كان أمثال هؤلاء . وإلا فخبرنى عن شعر البطولة والفروسية والحياة والقوة بعد ، وأين الشعر الغنائى الذى صدر عن شعور بالعزة القومية فى الادب العربى ؟ — اليس عجيباً أن نرى شعر البهاء زهير وقد كان فى أسمى منصب من مناصب الدولة وكان مشرفاً على الحروب الصليبية ومساهماً فى تدبير شئونها لا يذكر لنا فى شعره شيئاً من أغانى الفروسية ، ثم ينصرف بكله إلى الغزل المائع . على حين أن الصليبيين خلفوا لقومهم أغانى وأشعاراً صليبية قوية ، ولم يخلف لنا الأدب العربى فى هذا الباب إلا ما كان تافهاً ضعيفاً — لعل السبب فى هذا أن المسلمين كان موقفهم فى هذا موقف دفاع لا هجوم « وماغزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا »

* * *

وبعد ، فكل عاطفة من عواطف الانسان — على كثرتها وتعددها — موضوع للأدب ، وخير الأدب ما انبعث عن عاطفة صحيحة لا مريضة ، فالشعر المتناهى فى وصف ما يلاقى المحب من عذاب والذى يذوب رقة وحنانا ليس — فى نظرى — مؤسساً على عاطفة صحيحة كالذى فى شعر العباس بن الأحنف وأمثاله ، وهذا الشعر وإن أرضى الجمهور ولذ لهم هو فى كثير من الأحيان أجوف ، وهو فى كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة . وليس من الحق أن يبيع الانسان عواطفه بهذه السهولة — والشاعر المجيد — هو الذى يثير العواطف بقدر ويبنيها على أساس عميق ، اما إن هو تغالى فى ذلك وأثار عواطف حادة لأسباب واهية كان أدبه أدبا خفيفاً ضعيف القيمة مهما استلذه الناس وأعجبوا به .

هناك عواطف حنان ، وعواطف إجلال ، وعواطف جمال وعواطف قوة ، وهناك ما يثير الحزن ، وما يثير السرور ، وما يثير الشهوة ، وما يثير البطولة ، وما يدفع إلى المجد ، وما يدفع إلى اللهو ، وكلها صالحة للأدب ، وكلها فى نظر الأدب سواء وإن اختلفت قيمتها فى نظر الأخلاق ، ونظر دعاة الاصلاح ، فالأخلاقى يرى أن الأدب الذى يثير لذة حسية أقل رقياً من أدب يثير شعوراً أخلاقياً كالاعجاب بالبطولة ، واحتمال الآلام فى سبيل أعمال جليلة — وأرقى الأدب فى نظرنا ما أحيا الضمير وزاد حياة الناس قوة .

وأغرب مافى الأمر أن أدباءنا الذين انتفعوا بالأدب الغربى وعملوا على نقله إلى الأدب العربى أفرطوا فى نقل هذا النوع من الأدب المائع وفرطوا فى نقل الأدب القوى ، وسبب ذلك أنهم جاروا ميول الجمهور وسايروا رغباته فكانوا تجاراً أكثر منهم قادة ، والجمهور إنما استلذ هذا النوع لأنه من قديم ألف البكاء ، وكانت حالته الاجتماعية تدعو اليه ، ولأنه ترك جده على كاهل غيره ففرغ للهو .

وكان هذا النوع من الأدب أضر بالشرق من ضرره بالغربى ، لأن الغربى عنده بجانب هذا الادب الضعيف أدب آخر قوى ، فاذا بعث الأول حناناً ورقة ، بعث الآخر قوة وجلداً ، فتعادلت حياته وتغذت نواحى عواطفه . اما الشرق فليس له تراث حاضر من أدب قوى يسند ضعفه ويحيى نفسه — وسبب آخر وهو أن الشرقى — على العموم — ذو عاطفة أحد وهو لها أقل ضبطاً ، فاذا نحن غذيناه دائماً بهذا الأدب الحاد زادت عواطفه ميوعة — مع أنه أحوج ما يكون إلى ما يقوى عاطفته ويضبط جموحها .

* * *

الحق أن الأدب عود ذو أوتار ويجب أن تكون أوتاره على نظام ما عند الانسان من عواطف جدية وهزلية ، ورقيقة وقوية ، وضاحكة وباكية ، ورخيصة وغالية — والعود الذى يوقع عليه الأديب الشرقى ناقص الأوتار ، تنقصه الأوتار القوية والأوتار التى تبعث الحياة ، والأوتار التى تبعث الضحك ليتلوه

ساعة مع الاستاذ الجليل

أحمد لطفى السيد بك

دقائق مجهولة من حياة الإمام محمد عبده

كانت نسائم الأصيل فى مصر الجديدة قد أخذت تنفح جوها المحرور بالطراوة المنعشة حين غمزنا الجرس مستأذنين على الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد بك ، وكان جوسقه الانيق غريقاً فى سكون فلسفى حالم ، وحديقته البهيجة ترف على جوانبه الأربعة بالجمال والعطر فتذهب عن صمته الانقباض وعن سكونه الوحشة ، وكان كل شيء يقع عليه طرفك فى الحديقة والدار يعلن عما وراءه من مزاج حكيم ، وذوق فنان ، ونفس شاعرة

كان الأستاذ على عادته يستريض مع أرسطو فى كتابه (الطبيعة) وهو السفر الثالث الذى يخرجه للناس من آثار المعلم الأول ، وفى رأيه أنه أجل كتب أرسطو وأدلها على سمو عبقريته وسر نبوغه . لقينا فى البهو لقاء ذوى البيوتات الكريمة والأبهاء القديمة فسلم فى أريحية وحيا فى هشاشة ، ثم خيرنا بين مجلس الدار ومجلس الحديقة فاخترنا هذا ، وجلس ثلاثتنا على كراسى قصيرة القواعد وثيرة المقاعد حول منضدة مستديرة فوقها مظلة صيفية على طراز ما يستعمله المصطافون على شواطىء البحار وفى فنادق الجبال ، وجلس الأستاذ الحكيم قبالتنا على كرسى له ظلة كالعلبة المستطيلة تنى الجالس فيها وهج الشمس أما كلبه الضخم الجميل فقد ذهب يتهادى فى الماشى المزهرة ، ومن حين إلى حين كان يعود ليداعب السامرين على قدر مايفهم من الدعابة .

أخذ الاستاذ يطارحنا الحديث – على نحو ما كان يتحدث إلى تلاميذه صديقه أرسطو زعيم المشائين فى مماشيه المظللة – بصوته النقى العذب ، وجرسه العربى الواضح ، وأدائه المتئد الموزون ، ولهجته (الشرقاوية) التى ينثرها عمداً فى خلال الحديث فتكسبه ظرفا ورقة . ولطفى بك مسامر حلو النغمة ، فكه اللسان ، متفنن الحديث ، متخير اللفظ ، فلو رحت تكتب ما يقول لكان قريب الشبه مما تكتب . وبراعة الحديث صفة امتازت بها طبقته التى تأثر بها وأثر فيها من أمثال محمد عبده وسعد زغلول والهلباوى فأنت فى حضرتهم لا تشتهى الكلام لان لذتك فى أن تسمع ، ولا تثير الجدال لان همك فى أن تستفيد . ومجلس لطفى بك يصدق الصورة التى رسمتها له فى ذهنك قبل أن تلقاه من شهرته المستفيضة وأعماله المنشورة : فبديهته حاضرة وفكره نفاذ وبيانه أخاذ وإطلاعه شامل ومنطقه مستقيم وهو يتوخى فى حديثه الافادة واللذة فسامعه لا ينفك راضى العقل ريان العاطفة

وقصارى ما تقوله فيه أنه خلاصة الجيل الماضى بأمره ، وتطبيق صحيح لمدرسة الافغانى وعصره . وأوضح مظهر لهذا التطبيق كان فى نزعته السياسية وطريقته الكتابية . ففى (الجريدة) نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الاسلامية ، وفى (الجريدة) ابتكر للكتاب أسلوبا لفظه قدر لمعناه ، ووصفه طبق على موصوفه ، وسبيله قصد إلى غايته . فكان مذهباً جديداً جرى عليه صحفيون إلى اليوم وأصدق الامثلة عليه أسلوب صاحب البلاغ .

ولطفى بك بارع فى سلسلة الحديث سريع إلى اقتناص المناسبة فلا تخشى على الحديث فى مجلسه أن يبوخ ولا على الصموت فى محضره أن يحرج .

قال حينما استقر بنا الجلوس يعيد التحية ويفتتح السمر : أنا اقرأ ماتكتبونه فى (الرسالة) بشوق ولذة . . . ويسرنى ان الكتابة فى مصر قد بلغت من الكمال الفنى حد

جد ، والأوتار التى تهز النفس لتملأها أملا ، والأوتار التى تبعث النغم يصور بطولة ، والتى تبعث النغم ليوقظ من سبات — عود الأديب الشرق على نحو عود المغنى الشرقى ، أشجى أغانيه أحزنها ، وخير نغماته أبكاها

فهل يتقى الله الفنانون والأدباء فى الجيل الناشىء فيصلحوا أغانيهم ويكملوا ما نقص من أوتارهم ، ويستدركوا ما فاتهم ، وينشدوا طويلا نشيد الحياة ، كما أنشدوا من قبل طويلا نشيد الموت ؟

الاعجاب ، فأصبحت للالفاظ دلالتها الدقيقة ، وللاوصاف بيانها المقصود ، أما الكتابة فى (أيامنا) فكانت بالتقريب ، فمعانى الكاتب تقريبية وألفاظها الدالة عليها تقريبية ، والأثر الذى تتركه فى نفس القارىء — ان كان — مبهم أوتقريبى فقال له أحدنا :

— ولكن سواد القراء يقرأون اليوم بالتقريب

— طبيعي ! فالكاتب أيام كان يكتب بالتقريب كان القارىء لايقرأ واذا قرأ لايفهم فلما ارتقى الكاتب الى التدقيق ارتقى القارىء الى التقريب.

ولقد تصرف كتاب العصر فى فنون الكتابة فعالجوا بها شتى الاغراض فى براعة وحذق . ولذلك لا أوافق الدكتور طه على جعله النثر لسان العقل والشعر لسان العاطفة فان من النثر ما يكون شعرا

ثم تشاجن الحديث وتشقق بعضه من بعض فتناول المويلحيين والخضرى وشوقى وأبا النصر والأفغانى والطويل حتى أدى إلى علاقته بالشيخ محمد عبده فقال :

— تخرجت فى مدرسة الحقوق وانا فى الثانية والعشرين من عمرى فرغبت الاسرة فى زواجى وأوعزأبى الى أمى أن تكلمنى فى ذلك فأبيته ، ولم يشأ والدى أن يفاوضنى بنفسه فى ذلك الامر فلجأ الى الشيخ عبده وكانت المعرفة قد اتصلت بينهما بسببى فدعانى الشيخ الى داره . . . .

— لقد كان حسنا من الامام أن يجمع قلوب الشباب حوله ويتدخل بالنصح فى أمورهم الخاصة

— لم يكن الامر فى التعميم والاطلاق على مافهمت ، فقد كان الشيخ فى علاقته بالناس على انقباض وتحفظ والشباب أنفسهم هم الذين سعوا اليه والتفوا حواليه لانه كان بطبعه رجل ثورة ، ولان اتصاله بصالون نازلى هانم ومصطفى فهمى وكرومر أوهن أسبابه بالقصر وأيبس مابينه وبين الخديو ، ولانه كان يدعو الى الاصلاح والتجديد فكان قريبا بنزعته الى "هوى الشبان" ، ولانه كان ينتدب فى كل عام لامتحان طلاب الحقوق المنتهين وقد اتصلت به معرفتى بسبب ذلك الامتحان نفسه . . .

— شت ! ! فكف الكلب المطيع عن النباح وكان ينبح شيئا أو شخصا خارج السور

— Viens ici فجاء الكلب الوديع حتى دنا من سيده

— Couches toi فانتبذ مكانا قريبا ونام

ثم عاد الاستاذ الى حديثه يقول : اقترحوا علينا فى امتحان الانشاء ان نكتب فى هذا الموضوع :

كيف كان للحكومة حق عقاب المجرم ؟ وجعلوا زمن الاجابة اربع ساعات على ما اظن . فكتبت المذاهب الاربعة التى قررها العلماء فى هذه المسألة ثم عقبت عليها ففندتها ونفيت أن يكون للحكومة على أى شكل من اشكالها (حق) عقاب المجرم لانها قائمة على القوة لا على الحق . وأسرفت فى التدليل على ذلك حتى ملأت الكراسة ثم خرجت فذكرت لرفاقى ما اجبت به فاضطربوا واكتأبوا وقرروا جميعاً أنى لا محالة راسب ، ثم اشتد من جانبهم اللوم والتقريع حتى ذهب من نفسى كل امل فى النجاح فلما كان يوم الامتحان الشفهي وقف الشيخ فقرظ موضوعى وكان قد وضع عليه الدرجة النهائية ، ولكنه نصح لى أن اقتصد الآن فى هذه الآراء اشفاقا علي

وكم للشباب من شطط فى الآراء .

زرت الشيخ بعد ذلك فى جهة شارع الشيخ عبد الله نائبا عن فريق من الطلبة التمس منه ان يقرأ لنا درساً فى التفسير بمسجد الفتح على مقربة من مدرسة الحقوق ، فأجاب الملتمس وانضم الينا طلبة من دار العلوم فكنا بين الثلاثين والاربعين . وهنالك قويت الصلة بينى وبين الشيخ حتى بلغت حد الالفة .

وفى سنة ١٨٩٧ سافرت فى الشتاء الى جنيف لغرض سياسى ، فانتهزت هذه الفرصة وانتسبت إلى جامعتها فى دروس فى الادب والفلسفة أقامتها فى الصيف خاصة للحاصلين على درجة علمية ، واتفق أن جاء الشيخ وسعد بك زغلول وقاسم بك أمين مصطافين وكان المرحوم قاسم بك يشتغل فى كتاب تحرير المرأة وكان يقرأ لنا غالبا بعد الظهر فى كتاب L'intelligence للفيلسوف الفرنسى (تين) ومن العجيب أننا كلنا التوى علينا فهم عبارة كان الشيخ . وهو أقلنا علما باللغة الفرنسية ، يجلو لنا غامضها .

— سافر سعد باشا وقاسم بك وبقى الشيخ عبده فانتسب معي الى دروس الأدب واقبل عليها بجد ومثابرة ، واذكر ان أستاذالادب كان قدقررعلينا فيما قرركتاب (روى بلاس) لفكتور هوجو نقرأه وندرسه ثم نناقشه وننقده فى الدرس أمامه فلما جاء يوم المناقشة أدلى كل طالب برأيه . والاستاذ يعقب على الآراء فيخطىء ويصوب ويصحح حتى نخرج آخر الامر بطائفة صالحة من الآراء الصائبة . وخرج الشيخ شديد الاعجاب بما رأى وسمع وقال : هكذا يكون التعليم ! نحن فى بلدنا لا نعلم واعتزم ان يدخل هذه الطريقة فى الازهر .

كان مراحنا ومغدانا قبل الدرس وبعده الى حلوانية تجاه الكلية تدعى (اكسلين) ويأبى الشيخ رحمه الله إلا ان يدعوها (اخصلين) على الرغم من وسامتها الظاهرة . وكان زيه وعمامته قيد الابصار وموضع التساؤل ومستجر الحديث فى كل مكان نحله — وهنا ذكر الاستاذ بعض الطرف التى تدل على ظرف الشيخ ولطف روحه ورقة شمائله ثم قال : . . . وكان من عادتنا أن المتقدم منا ينتظر المتأخر عند هذه الحلوانية حتى نذهب الى الدرس معاً . ففى ذات يوم جئت قبله فانتظرته ثم انتظرته حتى مضى الوقت الذى كان يصل فيه عادة اذاتأخر وكانت الجامعة قد استقدمت أحد العلماء الطبيعيين ليحاضر فى استحضارالارواح والدخول عام والزحام لا بد شديد فلما أزف موعدالمحاضرة ولم يبق الادقائق . قلت للفتاة : اذاجاءالشيخ فأخبريه انى انتظرته الى قبيل المحاضرة . ثم مضيت فدخلت مدرج المحاضرات من بابه الاعلى وأخذت مجلسى بين الحضور . ولشد ماكانت دهشتي حين وثبت الى عينى عمامة الشيخ جالسافى الصفوف الامامية بين سيدتين جميلتين ، يميل على هذه مرة وعلى تلك اخرى !! فداخلنى من أمر الامام مالم أكن اعهده . ثم خيل الى ان الزمن يبطىء والدرس يثقل لان رغبتى كانت تلح فى الوقوف على جلية الخبر . فلما انتهت المحاضرة اسرعت فى النزول اليه وفى عينى دهشة وعلى وجهى تعجب وبين شفتى كلام ! وتبين الشيخ ذلك فى هيئتى من بعيد ، فصاح قبل ان احدثه :

— تعال يا لطفى اقدمك الى البرنسيس ! !

وقدمنى الى الاميرتين نازلى وخديجة !

وكان ذلك اول معرفتى بالاميرتين المصريتين فدعتانا الى الشاى فى الفندق الفخم الذى تنزلانه .

وفى سنة ١٨٩٨ رغب الشيخ ان يقضى معى اياما بالبلد . فما علم بقدمه رجال الادارة والقضاء بالمنصورة حتى توافدوا الى لقائه ، وفيهم المرحوم حشمت باشا ، وحفل المجلس بالناس على اختلافهم ودار الحديث . فقال الشيخ فيما قال ان السيد جمال الدين كان يقول : اذا اردت ان تحكم على اخلاق امة فاجلس فى قهوة من قهوات الفقراء ، فما انطبع فى نفسك من الانفعالات فاحكم به على هذه الامة من غير تحرج ، فأخذت انقض هذا الحكم وأفنده والشيخ يدافع عنه ويؤيده فاستحييت ان الج فى معارضة الشيخ فى المجلس فأمسكت .

وفى العصر ركبنا جوادين ، وخرجنا نرتاض فى المزارع والحقول فعدت الى ذلك الموضوع فقال الشيخ لا أدرى لماذا لاتصدق هذا ؟ أليست قهوة الفقراء تجمع الفقير الذى سيبقى فقيرا ، والفقير الذى سيصير غنيا ، والغنى الذى صار فقيرا ؟

وفى سنة ١٩٠٥ اذكر ان الشيخ كان قادما من الوجه القبلي واظنه كان فى السودان ، فنزل عندى بالمنيا وكنت يومئذ نائبا بها ، وحضر للسلام عليه رجال القضاء الاهلى والشرعى ووجوه البلد . فلما احتشد المجلس بالجمع قال احد العلماء من رجال المحكمة الشرعية ان كثيرا من النصارى يدخلون فى الاسلام فتضاعف بذلك شغلنا . فقال له الامام : فيم تشتغل ايها الشيخ ؟ فقال نعلمهم اركان الدين . فقال له : يكفى ان تقول له صل وصم وزك وحج فقال ولا بد ان نعلمه الوضوء . فقال قل له اغسل وجهك ويديك إلى مرفقيك وامسح رأسك واغسل رجليك ، فقال ذلك لا يكفى ولا بد ان نعلمه حدود الوجه من اين يبتدىء والى اين ينتهى ، فقال الشيخ بصوته الجهير فى شىء من الحدة : سبحان الله ياسى الشيخ ! ! قل له يغسل وجهه ! كل انسان يعرف حدود وجهه من غير حاجة الى مساح ! !

وهنا استأذنا الاستاذ الجليل فى الانصراف على نية العودة اليه من حين الى حين فنستزيد من طرائف هذه الاحاديث .

الزيات

هل للشعر المرسل مكان في العربيـــة

الأستاذ محمد فريد أبو حديد
وكيل المدرسة التوفيقية الثانوية

يسر الرسالة أن تقدم الى قرائها صديقاً من خيرة أصدقائها وهو الاستاذ محمد فريد أبو حديد صاحب «ابنة المملوك»، التى تحدث عنها بالخير الاستاذ جيب فى العدد الماضى، ومؤلف «صلاح الدين»، وكاتب «المرحوم محمد»، ومترجم «فتح العرب لمصر» لبتلر. والاستاذ فريد من أصفى أدبائنا شعوراً وأخصبهم قريحة وأوزنهم انتاجا، وهو جندى باسل من جنود الادب العربى، أغرم بالقراءة والبحث والكتابة واسرف حتى خامره من ذلك داء مؤلم موئس عقله عن اخوانه وتلاميذه وقلمه بضعة شهور، فنحن بتقديمه اليوم انما نقدم التهنئة الخالصة لاصدقائه بسلامته، والبشرى الطيبة لعشاق أدبه بقراءته.

(التحرير)

قرأت مقالين قيمين فى الرسالة بعنوان «مجمع البحور» تعرض فيهما كاتباهما المفضلان إلى الشعر المرسل ومكانه فى اللغة العربية. وليس بالعجيب أن ينفر بعض الكتاب من أسلوب لم يألفوه كما أنه ليس بعجيب أن ينكر الاديب بدعة فى الادب العربى اذا ظن أن تلك البدعة قد تدخل اليه ما لا يزينه أو ما قد يتخذ سبيلا إلى التزييف والابتذال. ولكننا مع ذلك لا نجد بدا من التسليم مع المنطق السليم بأنه اذا كان يراد أدخال بعض أنواع من التأليف فى اللغة العربية فلا بد من وسيلة لفك قيود القافية. فالقافية غل متين يمنع الاسترسال فى القول واذا كان الاسترسال والاطالة لازمين كانت القافية حجر عثرة لابد من ازالتها. فالشعر القصصى والرواية الشعرية لابد فيهما من ترك القافية أو الاحتيال عليها لانه من الطبيعى فى الشعر القصصى أن يصور الشاعر صورا كثيرة واضحة قد يحتاج فى تصويرها إلى نظم آلاف الابيات، وكذلك يحتاج الشعر القصصى الى أن يكون النظم حرا لا يلتزم فيه قافية تضطر الشاعر إلى ما يجعل المعنى مبهما أو مقتضبا. وفى هذا وحده علة وجود الشعر المرسل فى لغة مثل اللغة الانجليزية.

وإنما يورد للشعر المرسل عيبان أولهما أنه يحرم الاذن من موسيقى القافية، والثانى أنه يحطم الحدود بين الابيات فلا ترتاح الاذن الى ما اعتادته من الوقف فى آخر كل بيت والترنح مع الوزن من بدء مقدور الى خاتمة منتظرة. وهذا قول لا شك فى أن به حقا كثيرا، فمن أراد الموسيقى والغناء فلابد له من شعر موزون خفيف الروح اذا بدأت أول قطعة منه توقعت ما يليها، وإذا سمعت جرس القافية فى أول بيت توقعت تمام المتعة بجرس ما بعدها. غير أنا لا نقصد أن يكون شعر الاغانى مرسلا فانما للمرسل موضع غير الاغانى وهو كما ذكرنا ضرورة يلجأ اليها من أراد الاطالة فى غرض من الاغراض

وقد قال أدباء ممن يؤثرون الابقاء على القافية فى كل صنوف الشعر أن الشعر المرسل لا ضرورة اليه، فاذا شاء امرؤ أن يطيل وصفا أو يؤلف قصة فما من شىء يمنعه من أن يفك نفسه من قيدى الوزن والقافية جميعا ويجعل قوله نثرا صافيا. وليس فى مقدرة أحد أن يقنع الناس برأيه فى مسألة ادبية باكثر من أن يعرض عليهم ما يستطيعون بناء حكمهم عليه، فان الحكم فى مسائل الآدب مرجعه إلى الذوق وموقع الكلام من النفس. وليس من قصد أحد أن يتعصب لاسلوب خاص، فانه لا مأرب لاحد فى ذلك إلا أن يكون لذلك الاسلوب فى نظره ميزة على سواه. على أن مجال القول فسيح لمن شاء الانتصار للشعر المرسل، فانه فوق النثر فى أنه موزون وللوزن حظ من الاثر الموسيقى الذى يمتاز به الشعر، كما أن الشعر المرسل يجعل الاديب ينحت قوله على نمط مقدر، فتخرج المعانى فى ثوب مقدود على قدر ومقياس ينحيانه عن الفضول ويكسبان الاسلوب شيئا من الأناقة التى تنشأ عن أختيار الالفاظ الموافقة للوزن وتزويقها وتوثيق الاتصال بينها.

وبعد فالمثل أولى من تلك الحجج. ولهذا قد آثرنا أن نختار قطعة من تأليف ملك الشعر المرسل وهو شكسبير فى روايته المشهورة (عطيل) وانا عارضوها على القراء مترجمة مرتين مرة منهما من قلم الشاعر الكبير (خليل مطران) فى نثر سهل حلو أدى المعنى اداء دقيقا فى أكثر المواضع ولكنه على كل حال لا يعاب عليه شىء فى سلاسته ووضوحه. والترجمة الأخرى من قلم رجل آخر واتته المقدرة على أن يؤدى المعنى الانجليزى فى شعر مرسل. ورأينا أن نقرن بين الترجمتين حتى يمكن للقارىء أن يحكم بينهما ويحدث لنفسه رأيا فى أفضلهما والقطعة المختارة هى نبذة من الموقف الذى كان بين (ياجو)

و (عطيل) يحاول فيه (ياجو) أن يظهر نفسه في مظهر الصديق الناصح ويدس في حديثه سم سوء الظن يبعثه الى قلب (عطيل) ليجعله يحقد على زوجته الفاضلة راميا من وراء ذلك إلى غرض مادي شخصي ظن أنه لن يبلغه الا بالقذف في امرأة عطيل وتصويرها في صورة من تهوى رجلا آخر اسمه (كاسيو) كان ذلك الواشي (ياجو) يريد الايقاع به . وعطيل يحب امرأته حبا شديدا فكان على الواشي المخادع أن يحكم حيلته ومكره حتى يستطيع أن يثير الشك في قلب ذلك الزوج المحب . فابتدأ متظاهرا بالتردد في اتهام الزوجة وجعل يلمح الى أن الشرف أغلى متاع للمرء حتى اذا مارأى (عطيل) ينساق مع الغيرة جعل يتظاهر بذم غيرة الأزواج على نسائهم حتى دفع الزوج المسكين الى أن يفتح قلبه وعقله للاتهام . وهذا البدء هو الموضع الذي نقلناه .

* * *

قال مطران في ترجمة تلك القطعة :

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة ياسيدي العزيز أثمن جوهرة من حلي النفس . من يسرق كيس نقودي يسرق شيئا زريا . كان لي واصبح له وكان قبلنا لألوف آخرين . اما الذي يسرق حسن سمعتي فيختلس شيئا لايغنيه ويجعلني فقيرا جهد الفقر .

. . . .

. . . .

عطيل : وايم السماء لاعرفن أفكارك

ياجو : لن تعرفها ولوكان قلبي في يدك . فهل تصل اليها وذلك القلب في حراستي .

عطيل : آها !

ياجو : أي مولاي احذر الغيرة . تلك الخليقة الشوهاء ذات العيون الخضراء التي تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس . الرجل الذي يثلم عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد سعيد بجانب ذلك الذي يقضي الدقائق الجهنمية شغفا إلا أنه مستريب . عاشقا شد العشق ولكن تساوره الشكوك

. . . .

وقال المترجم الآخر في تأدية القطعة نفسها :

ياجو : شرف الانسان أغلى ـ سيدي ـ .
من سواد القلب هذا يستوي
فيه من كانوا ذكورا أو إناثا .
ان من يسرق مالي انما
نال مني تافها غير خطير
انما المال متاع هين
فلقد كان معي ثم مضى
ليديه بعد حين مثلما
كان قبل الآن عبدا لألوف
انما سالب عرضي نال ما
ليس يغنيه وقد أفقرني

عطيل : قسما لابد من كشف ضميرك

ياجو : لا . لمن تكشفه حتى ولو
كان ذاك القلب مابين يديك
لا . ولن أفصح مادام هنا
بين أضلاعي .

عطيل : ها !

ياجو : أيها السيد حاذر ـ لاتطع
هذه الغيرة ـ حاذر إنها
غولة ذات عيون خضرة
إنها تسخر من مقتولها
بعد أن تنهشه ـ كن حذرا
ان من يعرف في زوجته
انها تخدعه ، لكنه
ليس يهواها فلن تزعجه
انما البؤس لمن في شكه
يتلظى والهوى يكوى فؤاده

عطيل : ياللشقاء

ياجو : الفقر مع القناعة غنى بلا جاه عريض . اما النعم التى لاتحصى فتكون فقرا عقيما عقم الشتاء البارد للذى يخشى أبدا أن يصبح معسرا . اللهم ياذا الراحم أعف من الغيرة نفوس امثالى

عطيل : لم لم كل هذا اتظن انى سأعيش هـذه العيشة مغيرا ظنونى كما تغير هلال . كلا . متى نفذ الريب ثبتت النفس على حالة معه . تبدل منى بتيس قطيع يوم أدع نفسى بين أيدى الشبه التى تحدثها كل دسيسة . أنالاتستفز غيرتى بأن يقال لى إن مرأتى جميلة وانها لطيفـة المحاضرة وانها تحب معاشرة الناس وانها طليقـة النفس فى أحاديثها وتغنى وتلعب وتحسن الرقص كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة . الخ

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

عطيل : واشقاءاه

ياجو : موسر من كان فى الفقر قنوعا
وأشد الفقر مال طائل
مع خوف الفقر . ربى نجنى
من لظى الغيرة واحفظ منه أهلى

عطيل : لم هذا القول ؟ هل تحسبنى
ذلك الغيران يمضى هائما
سابحا فى غير من شكه
مثلما يسبح فى ابراجه
قمر الليل ؟ فلا كنت اذن
إننى إن كنت أمضى هائما
مثلما تحسب لم أبلغ سوى
مبلغ التيس . ولكن عزمتى
عزمة لاشك فيها إن بدا
لى وجه الريب . إنى لاأرى
سببا للريب عند امرأتى
لويقول الناس عنها انها
ذات حسن . تشتهى الأكل اللذيذ
أوتحب الناس . أوثرثارة .
أوتغنى . بل إذا مازعموا
انها تلعب أوتحسن رقصا
ليس هذا الوصف عيبا . إنه
صفة محمودة عند العفاف.

ولعلى أستطيع أن آتى لقراء الرسالة ببعض أمثلة أخرى من هذا النوع من أساليب القول . تاركا لهم أما الانتصار له وإما خذلانه . فاذاوجدوه صالحا كان بابا يستطيع ذوو المقدرة من شبان الأدباء أن يلجوا منه الى ميادين فسيحة .

العشق النجمى

للدكتور محمد عوض محمد

لئن كنت أيها القارىء ممن وقاهم الله غائلة العشق، ولم تنفجر فى صدورهم قنابل الغرام ، ولم تضع المقادير قلوبهم بين سندان الشقاء ومطرقة البلاء ، إذن فاحمد الله ، واشكر جدك الباسم!

لكن إذا كنت خليا فاذكر الشجي ، ولا تمنعك السعادة من أن ترثى للشقاء ، فان لصرعى الغرام عليك حقاً : أن تذرف من أجلهم لتراً أو لترين من الدمع الساخن ، ثم تسقى به ثراهم وتروى به الطلحة الحزينة التى تظلل جدثهم .

* * *

وإنى محدثك اليوم عن ضرب جديد من العشق ، أو على الأقل ضرب كنت أحسبه جديداً .. إلى أن ألفيته قديماً، شأن كل هذه الأشياء التى يطلع علينا بها المجددون . .

بيد أن العشق الجديد الذى نحن بصدده ، إن لم يكن جديداً ، فقد استحدثنا له اسما جديداً ، ودعوناه « العشق النجمى » .. وهو كما ترى اسم طريف ، ليس فى الكتاب من سبقنا اليه .. ولا خير فى كاتب لا ينهض للجليل من الأمور فيبتدع لها الجديد من الاسماء .

وأول من أصيب بالعشق النجمى فيما نعلم ، أو على الأقل أول من سجلت اصابته رسمياً ، هو العباس بن الأحنف إذ يقول عن حبيبته :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

هكذا كان ذلك العاشق المسكين : يطلب ما ليس اليه سبيل ، ويظمأ والشراب عزيز ، ويشتهى وقصارى جهده أن يشتهى . ولعمرك ما دام مناط حبه الشمس ، فليس حظه منها سوى التطلع والتحديق ، والزفير والشهيق .. هل كان يعلم عفا الله عنه ! أن بينه وبين الشمس ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر٩٢ ميلا فى الصيف و٠٠٠ر٠٠٠ر٩٣ فى الشتاء ؟ وهى فى كلا الحالين بعيدة المنال ، ليس اليها فى شتاء ولا صيف وصول .

ومن العبث أن ننصح أمثاله من العشاق أو نعذلهم ، أو نطلب اليهم أن يصرفوا هواهم إلى الممكن المتيسر ، والقريب الدانى . وأن يراعوا صحتهم ، فان فى طلب المحال سقما وسهداً وإن التحديق فى الشمس يضنى القلب كما يضنى البصر .. ولكن هيهات ...

إن المحب عن العذال دائماً فى صمم .

***

وأحسب القارىء قد أخذ الآن يفهم ما أعنيه بالعشق النجمى . وأظنه يتوهم أن العشق النجمى هو عشق الشىء البعيد المنال . . لكن هذا ليس الذى أرمى اليه . إن العشق النجمى هو عشق النجوم نفسها . . أجل النجوم التى فى السماء على طريقة العباس بن الأحنف المذكور . ورويداً يظهر لك ما أضمره . شيئاً فشيئاً .

***

هنالك أمراض تصيب الناس من آن لآن . لكنها تصيبهم فرادى . أى تصيب هذا مرة ، وذاك مرة أخرى . ثم يأتى بعد ذلك زمان تصبح فيه تلك الأمراض وباء يجتاح العالم كله إقليما بعد إقليم ، وشعباً بعد شعب .

وهكذا « العشق النجمى » كان فيما مضى يصيب الناس فرادى ، فأمسى الآن وباء شائعاً فاشياً ، قد ملأ السهل والجبل وانتشر فى المشرق والمغرب . وسبب ذلك أن قد ظهرت فى العالم سماء جديدة : سماء غير السماء التى ألفنا .. وهذه السماء الجديدة تدعى « السنما » وقد امتلأت أرجاؤها بالنجوم .

والعشق الذى تتأجج ناره فى قلوب المغرمين ببعض هذه النجوم لا يختلف ، فى كثير ولا قليل ، عن ذلك الهوى المبرح الذى وصفه لنا العباس بن الأحنف . وقد يظن بعض البسطاء أن نجوم السنما أدنى الينا وأقرب منالا ، إذ نراها أمامنا ونشاهدها بأعيننا . وهذا لعمرك خطأ محض ! فانها قريبة على بعد ، بعيدة على قرب .

والشرق نحو الغرب أقرب شقة
من بعد تلك الخمسة الأمتار ...

***

والآن قد أدركت أيها القارىء ما « العشق النجمى » وأنه هو تلك اللوعة التى تحرق قلوب الناس فى مشارق الأرض ومغاربها من أجل بعض النجوم ، التى تدور فى أفلاك تدعى « الأفلام » فى سماء يسمونها « الشاشة » البيضاء

فالعشق النجمى إذن منسوب إلى نجوم السما ، وبالله لا تقل كواكب السما ! لأن الكواكب فى علم الهيئة قريبة المنال دانية المزار ومن علمائنا اليوم من يحلم بالوصول إلى بعض الكواكب كالمريخ — أما النجوم فبعيدة بعد الشىء المستحيل وكذلك العشق النجمى فان مرامه بعيد ، ومأربه محال .

***

وأكبر مايمتاز به هذا العشق أنه عذرى . . فانك قد تولع بنجمة فتانة من نجوم هليوود ، فيمتلىء بحبها قلبك ، وتملك عليك مشاعرك ، فلا ترى فى الأرض الفسيحة غير وجهها ، ولا تسمع غير صوتها . هى حلمك إذا هجعت ، ونجواك إذا صحوت إن أبصرتها فى قصة حزينة استولى عليك الحزن والألم . وإن أصابها برد أو زكام أصابك مثلها سعال وزكام . وإن رأيتها ويا للهول ! — صريعة قتيلة ، قطع الحزن نياط قلبك ، وأظلم العالم فى وجهك ، فلا تزال كئيباً أسيفاً ، جاحظ العين متقلص الشفتين ، حتى تراها فى فلم آخر فرحة ضاحكة فيسرى عنك وتبرق أسارير محياك . وتضحك حتى تبدو نواجذك . .

ومن الغريب أنك لا تأخذك الغيرة حين ترى عشاقها الكثيرين ، ولا تستنكر منها أن تبدل فى كل (فلم) زوجا مكان زوج او صاحباً مكان آخر . لا يهمك من هذا كله شىء لأنك لا تفكر فى غير سعادتها ، فكل ما ترضاه ترضاه . ويحلو فى عينك ما يحلو فى عينها . بل لقد ألهاك التفكير فيها عن التفكير فى شىء آخر . .

ثم أنت بعد هذا كله لا ترجو نوالا ولا وصالا ، تعلم أنها بعيدة عنك بعد النجم . وإن قربها منك الفلم . — وقد رضت النفس على هذا البعد الممزوج بالقرب ، وهذا النوال المنطوى على الحرمان . وهذا الوصل الذى هو أدنى إلى القلى والهجران . فلا تريد على حبك جزاء ولا لدائك دواء . ذلك أن هواك عذرى أفلاطونى برىء . فلا تريد لنارك المتأججة أن تطفأ ، ولا لغليلك المستعر أن يشفى . حب هو الغاية والوسيلة ، نار تأبى إلا اضطراماً ، ودمع يأبى الا انسجاما . وتنور يريد أن يفور ، وبركان يحلو له أن يثور . من غير مأرب تنشده ، أو أمل تريد تحقيقه ، أو غاية تبغى الوصول اليها . . بل إن الحب هو الشغل الشاغل عن كل أمل أو مأرب أو مرام . .

* * *

تلك إذن هى الظاهرة الأولى للعشق النجمى : أنه هوى عذرى طاهر عفيف نظيف . أما الظاهرة الثانية لذلك العشق . فهى إنه يصيبك من بعيد . . وقديماً وصف لنا الشريف الرضى هذه الظاهرة فقال يخاطب نجمته ! :

سهم أصاب وراميه بذى سلم
من بالعراق ... لقد ابعدت مرماك ! . .

ذو سلم هذا مكان فى جوار المدينة المنورة ، يكثر الشعراء من ذكره حين ينسبون . ولو كان لديك أيها القارىء مصور جغرافى لأمكنك أن تقيس المسافة بين العراق وذى سلم ، ولعلمت أنها لا تتجاوز سبعمائة من الأميال . ومع ذلك يدهش الشريف الرضى لأن سهم الحب قد أصابه من ذى سلم والشاعر فى العراق لكن تلك المسافة لا تعد شيئاً إذا قورنت إلى البعد الهائل الذى يفصل ما بين هليوود وبين وادى النيل السعيد . . وأن النجمة الفاتنة لترمى بسهمها من تلك الأقطار القاصية ، فلا يلبث أن يصيب صميم الفؤاد ، ويفتت الأكباد ، فى شرق العالم وغربه . لا تحول دونه بحار ولا قفار . . .

وفى الحب العادى قد يكون البعد من أسباب السلو ، والبعيد عن العين بعيد عن القلب فى زعم الناس . لكن البعد بين المحب والمحبوبة شرط أساسى فى هذا الصنف من الغرام . بل إنى زعيم بأن عاشق النجمة لو رآها على قارعة الطريق ، وهى تبتاع شيئاً من الحلوى ، أو داخلة إلى دكان الحلاق . رأى شيئاً كسائر الأشياء وامرأة كسائر النساء ، ولما حدثته نفسه بأن قد يصيبه من مثل هذه قنبلة غرام . . بل ولا سهم ضئيل . .

كلا . . إنما يلعب حب النجوم بالارواح عن بعد . ومن مستلزماته تلك الحجرات المظلمة القاتمة ، تبعث فى النفس رهبة ، وتثير فيها شغفاً ورغبة . وهذه الأنوار الساحرة تنبعث من مكان خفى ، وتسطع على لوح فضى : ظلام يتوسط النور ، ونور

هذا العـــــذاب ...

الأستاذ راشد رستم

دخل الغابة ينشد الوحدة الهادئة الهادية ، فرآها أول ما رأى فى صمت الجذوع وتحملها ، ثم تمثلها عند تساقط الاوراق واستسلامها ، وفى السكون الشامل الذى يحيط به ، وفى اللون الاخضر القاتم الذى يغشاه ، ثم سمعها فى أنين الغابة الداوى ، ولاقاها عند الغدير الصغير الجارى ، ورآها فى قاع مجراه الصافى كامنة بين الحصا الأبيض الناعم ، ثم شاهدها فى تهدل الاغصان واضطرابها ، وفى رعشة الاوراق المتحيرة ذات الحفيف المحزن ، ووجدها ساكنة فى الاعشاش الخاوية ، ولمحها عالقة باجنحة الطير المتثاقلة وهى تبيت ، وفى آخر أشعة الشمس الصفراء وهى تغيب .

***

جلس فى تلك الظلال القاتمة وحيداً بين الشجر ، ينظر إلى السماء الناعسة يستنجدها وحيها المهيب . أو يستودعها سره العجيب . وقد بدت فروع الأغصان مع الاوراق على صفحة السماء وقت هذا الغروب فى لون من سواد كثيب ، كأنها (دنتلة) الحزن على صدر أملس رائع أسيف . قد صبغته نيران الزفرات والتنهدات بلون الشفق الوردى الهادىء صدر واسع عميق جذاب تحنو عليه شفاه الرحمة والاشفاق بقبلات العطف والحنان تترك فيه أثاراً من حرارة التضامن الكامن فى الصدور بين قلب حنون وآخر محزون . .

***

لم يفكر فى شيء ، فقد أحاطت به الافكار من كل جانب، قام هارباً من تهافت الافكار متعمقاً فى الغابة يطلب الهدوء الأصيل فى حضنها الظليل ، ومن هاجمته افكاره اعجزته تفكيراته ، وقد يضيع بها أو هو يبقى بينها حيران زمانا حتى تجذبه احداها فتشغله عن سواها ، وهكذا يفر المرء من عذاب الى عذاب

***

على أنه وقد وجد سكينته عند الطبيعة فقد سلبها منه وآلمه فيها ابن الطبيعة — طلع عليه من خلال الاشجار اطفال يلعبون ، والناس ملائكة صغارا شياطين كبارا

كمن له الصغار لما رأوه مقبلا هائما ، انتظروه اذ ظنوه سارحا هادئا . فاجؤوه يحسبونه خائفا ، فلما وجدوه رابطا ثابتا ، عادوا يخشونه متحفزا ثائرا . ثم تنبه هو من تيهه فوقف باسما ، يدعوهم لاعبا مسالما ضاحكا ، ولكنهم من الرجفة الاولى يفرون مستنجدين صارخين . فانجدهم أهلهم فى الغابة يتطيرون ، يسألونهم عن أمرهم وما دهاهم من مفترس أو روح شرير — فكانوا يبكون صامتين ، يشيرون الى مكان قريب

***

مفترس ! وحش ! روح شرير ! !

ليس فى المكان إلا ما فى الغابة من شجر ووحشة ودوى طويل.

خرج عليهم « الوحش » يدعوهم الى الهدوء والاطمئنان . فتلقوه مؤنبين معرضين ، فتولى عنهم فى غيظ و كمد . مختفيا فى الغابة الممتدة الواسعة . تلك الغابة الغنية التى هو سيدها ومالكها والتى يهبها صدقة يسمح بحطبها وحياتها ومتاعها حلالا طيبا للسائلين والمحرومين

يحيط به الظلام . وحسبك تلك الحال السحرية باعثة على الشجن ، ومثيرة لكامن الجوى .

وهكذا تستطيع النجمة ، وهى على سواحل المحيط الهادى أن ترسل أشعتها إلى أطراف العالم، وتنشر شباكها فى جميع الأقطار .

***

هذا وللعشق النجمى خصائص أخرى ، ولكننا ضربنا عن ذكرها صفحا ، لأنها تعد فى المرتبة الثانية من الأهمية ، وحسبنا ما ذكرناه وصفا لأعراض ذلك المرض . . استغفر الله بل تلك العاطفة القاهرة ، التى استرقت قلوب الناس من شباب وكهول ، وصفدتهم بسلاسلها وأغلالها . وقد أسلموها قيادهم طائعين خاضعين . .

لقد تحسب أيها القارىء أن فيما ذكرناه غلوا أو ان نصيب الخيال فيه أكثر من نصيب الحقيقة . . وفى الحق أننا ما كنا نعلم أن لهذا الشىء وجوداً أو أن شره قد استفحل ، وخطره قد اشتد إلى هذا الحد . لولا أن صديقنا العزيز (رشاد) قد أصابه ذلك السهم ، فأحزننا مصابه . ولقد تتاح لنا قريباً فرصة أخرى فنحدث القارىء بحديث ذلك الصديق وإن كان حديثاً أليماً . . .

التجديد فى الادب

يناقش الدكتور عبدالوهاب عزام الأستاذ أحمد أمـين فى رأيه عن التجديد فى الأدب ، وقد دفعتنى هذه المناقشة إلى إبداء رأى وذكر مناقشة ، أما الرأى فهو : إن المعاجم اللغوية التى يقول الأستاذ أحمد أمين ان فيها « ألفاظا كثيرة ليس لها قيمة إلا أنها أثرية تحفظ فيها كما تحفظ التحف فى دار الآثار » ، فى هذه المعاجم ألفاظ كثيرة لها قيمة عظيمة عند من يحسن الأداء بها فى مواقعها وكثير منها يؤدى لنا عن معان كنا نظن أن ليس لها فى الالفاظ العربية مايدل عليها ، فالبحث عن هذه الألفاظ واستعمالها يزيد من غير شك فى حيوية اللغة ونمائها ، وقد فعل الدكتور محمد شرف والدكتور أحمد عيسى شيئا من ذلك فى معجمهما عن الحيوان والنبات ، فكشفا فى هذه القواميس عن ألفاظ عربية لنباتات وحيوانات كنا نستعمل عند الدلالة عليها أسماءها العلمية اللاتينية ، وذلك لظننا خلو لغتنا من أسمائها .

وأما ماذكره الأستاذ أحمد أمـين من إلغاء هـذه الألفاظ لأن الذوق العام للقراء لايسيغها الآن ، فأنا أظن بأن درجـة المعرفة التى يصل اليها جمهور القراء ليست كافية للاعتبار والحـكم على اللغة والـكاتبين ، والـكاتب النافذ البصيرة له أن يقدم لهذا الجمهور القارىء مايرى أنه مفيـد من الألفاظ للابانة عما يريد من معنى أو إحساس ، ولو كان الجمهور القارىء لايعرف هـذه الألفاظ أو لايسيغها ذوقه ، ولـكن المهم أن يقتصد فى ذلك على الضرورى المفيد ولايتعمد الأغراب .

هذا مع ملاحظة أن مالايسيغه ذوق الجمهور هو الاقليـة من هذه الألفاظ المهجورة .

هذا عن رأيى ، وأظننى فيه قريبا من الدكتور عزام وإن كنت أخالفه فى بعض الشواهد التى أوردها فى مقاله وفى بعض الآراء كذلك .

وأما عن المناقشة فقد جرت منذ شهور بينى وبين كاتب من كبار كتابنا المتحمسين لتبسيط اللغة ، وكان يقول إن هـذه الألفاظ الموجودة فى القواميس هى مثل الزوائد والبقايا الأثرية فى جسم الانسان « كالزائدة الدودية وعجب الذنب مثلا » ويجب علينا طرحها لنكسب الوقت والسرعة ، فقلت انا : إن فى هذه القواميس ألفاظا تؤدى لنا عن معان نتحير الآن فى الأداء عنها بكلمة واحدة ، فنعبر عنها بجملة أو سطر ، فلو أننا استعملنا هذه الألفاظ وأشعناها لا كتفينا بلفظ واحد عن هذه الجملة أو السطر ، فـكسبنا بذلك الوقت والسرعـة ولفظا جـديدا يزيد فى لغتنا سعة ، فقال : اذكر مثلا ، قلت : أقرب مثـل هو صديقك فلان الذى عرفتنى به أخيرا ، فقد لاحظت أن لون عينيه مختلف فله عين زرقاء وأخرى كحلاء . فلو أردت أن أذكر لك هـذه الصفة فيه استعملت لها سطرا من الـكلام ، ولـكنى وجدت فى القاموس كلمة واحدة تؤدى هذا المعنى كله وهى « أخيف » وهذه الـكلمة نفسها تغنينا عن جملة أخرى ، فان الابناء الذين هم من أم واحـدة وأباء شتى يقال لهم « أخياف » فيمكنك فى

اقبل على الغدير الصغير ، وهنالك أمام خرير الماء الطاهر البرىء ، الجارى من الازل الى الأبد ، وقف فى اطراق وصمت وتسليم قليلا ثم نظر الى العود الذى يتوكأ عليه ، وهو من حطب الغابة ، وكتب به فى بطء ولين وتفكير كلمـات لاشك أنها ذاهبة مع الماء فى مجراه . .

ثم أتخذ سبيله عائدا الى البيت الذى يأويه وكان قد هجره بمن فيه وما فيه

واذ هو يمشى وئيدا كئيبا وقد طواه غسق الليل ، أبصر المحتطبين خارجين من الغابة فرحين محملين وهم يذكرون الوحش المفترس والروح الشرير . .

***

تثور نزعاته تطلب لوجودها جهراً ، ولـكنه يكظمها فى نفسه صبرا ، ثم تفور عواطفه فورا ، فيحبسها فى صدره غورا ثم يسرع الخطى على غير هدى قليلا حتى يدله الألم السارى وسط ظلام الحياة على حقيقة عذاب الانسان للانسان ، ومكان الاحسان عند الانسان ، وان الجهر بالاحسان احسان . .

يذكر ما كتب على صفحة ذلك الغدير الصغير ، ويردده فى ألم وثورة وأسف — حقا إن فى صمت الاحسان جنـة للناس وعذاب للمحسنين . .

المعادى — راشد رستم

الاول أن تقول « فلان أخيف » بدل « فلان إحدى عينيه زرقاءوالاخرى كحلاء » وفى الثانى « هؤلاء الاخوة أخياف » بدل « هؤلاء الاخوة من أم واحدة وآباء شتى » ، وقد كسبنا بذلك الوقت والسرعة ولفظة جديدة ، وهذه الكلمة لا أحد يقول « حتى الاستاذ أحمد أمين » إنها نافرة أو ثقيلة على الجيل الحاضر ، وقد استعملها ابن زيدون فى قطعة جميلة من شعره .

فقال صديقى الكاتب الكبير فى صيغة التحدى والتهكم ، إنك بذكر هذا اللفظ أطلت فى الوقت واضعفت من السرعة لانك ستشرحها للقارىء بهذه المعانى التى ذكرتها ، فكان خيراً لك وله لو أنك اكتفيت بالشرح عن المشروح فلم تذكر اللفظ الواحد ثم تتبعه بجملة شارحة ، فقلت أنا أولا لا أسلم بضرورة الشرح فان القارىء واحد من اثنين ؛ قارىء يقظ يقرأ ليفهم ويفتش عن كل كلمة ولا يكتفى بالفهم الاجمالى ، وهذا القارىء عندما يجد هذه الكلمة — إذا لم يكن يعرفها — سيبحث عنها فى القاموس حتى يعرفها ؛ ومن المرجح أنه بعد ذلك لن ينساها ، وهذه وحدها فائدة أخرى ، والقارىء الثانى يمر على الكلام مرا و يكتفى بالفهم الاجمالى ، فهذا ليس يهمنى أن أشرح له ، ولعله هو أيضا لا يهتم لشرحى ؛ وعلى فرض التسليم بضرورة الشرح لهذه الكلمة ومثلها ، فان الشرح لن يكون إلا بمقدار ما تشيع هذه الالفاظ وتعرف لجمهور القارئين وعند ذلك تترك وحدها فيفهمها القارىء ونكسب نحن وهو الوقت والسرعة وألفاظاً جديدة تزيد فى لغتنا وتنميها ، ثم ذكرت له بعضاً من الألفاظ والجمل استعملها هو بدءا وشرحها فى أول ما استعملها وأصبحت الآن مفهومة لكل قارىء وشائعة على أقلام الكاتبين وألسنة الناطقين حتى كأنها تستعمل منذ مئات السنين

ولعلنا نجد فى المقالات القادمة للاستاذ أحمد أمين أننا فهمنا من كلامه غير ما يقصد هو ؛ وعندئذ فنحن على وفاق ، أو فى « خلاف لفظى . . . » كما يقول الاصوليون

« محمود . ع . الشرقاوى »

عالم من الازهر

(الرسالة) جاءنا من الدكتور عبد الوهاب عزام مقاله الثانى فى الرد على الاستاذ أحمد أمين في موضوع التجديد . وسننشره في العدد القادم .

فلســـــفة كانت

للاستاذ زكى نجيب محمود

كانت الفلسفة وهى فى مهدها مطمئنة إلى تلك الأداة التى اتخذتها سبيلا إلى تفهم الكون ومايحوى من سر مكنون ، فكانت تأتمن هذا العقل الانسانى وتثق به وثوقاً لا يعرف الشك ، ولكنها ما لبثت أن اشتد ساعدها واستقامت على قدمين راسختين ، فانقلبت على تلك الأداة نفسها ، وداخلها الريب فى أمانتها ودقتها فيما تنقل إلى ذهن الانسان من صور العالم المحس ، فتناولتها بالبحث والتحليل

وتظن أن (لوك) كان أول من تصدى لذلك البحث فى تاريخ الفكر الحديث ، وقد انتهى بعد بحثه الطويل إلى إنكار الآراء الفطرية (Innate ideas) التى يقول دعاتها أنها تولد مع الانسان كمعرفة الخير والشر مثلا ، وأكد أن العقل عند ولادة الطفل يكون كالصفحة البيضاء ، خالياً من كل شىء ، وقابلا للانفعال بالبواعث المختلفة ، فاذا ما مرت به تجارب الحياة المختلفة ، تركت فيه آثاراً لا تمحى ، وطريق تلك التجارب الى العقل هى الحواس وحدها ، وليس فى حنايا العقل أثر واحد لم يسلك طريق الحواس أولا ، فالآثار الخارجية تنتقل إلى الذهن فى إحساسات مختلفة ، ثم تولد هذه الاحساسات شتى الآراء والافكار . ومادامت الأشياء المادية وحدها هى التى يمكن أن تنتقل عن طريق الحواس ، إذن فكل معلوماتنا مستمدة من الاجسام المادية دون غيرها . ومعنى ذلك أن المادة عند (لوك) هى كل شىء

ثم جاء (بركلى)وخطا بعد ذلك خطوة جريئة . فقد سلم بمقدمات لوك ، ولكنه اختلف وإياه فى النتيجة . ألم يقل لوك بأن معلوماتنا جميعاً مشتقة مما يجىء عن طريق الحواس ؟ إذن فنحن لاندرى عن الشىء الخارجى إلا الاحساسات التى تنبعث الينا منه ، والافكار التى تتولد من هذه الاحساسات عند وصولها الى الذهن . خذ تفاحة مثلا ، فهذا لونها يصل اليك ضوءاً عن طريق العين ، وهذه رائحتها تصل عن طريق الأنف ، وذاك طعمها تعلمه عن طريق الذوق ، وذلك ملمسها وشكلها يصلان

اليك عن طريق أعصاب اليد ، فاذا تناول هذه التفاحة كفيف البصر ، علم عنها كل شيء إلا لونها ، وإذا كان فاقداً لحاستي الشم والذوق ، اقتصرت معرفته على الشكل والملمس ، فاذا فرضنا أن أعصاب يده فقدت عملها أيضا ، أنكر صاحبنا وجود التفاحة فى يده مهما قدمت إليه من وسائل الاقناع . فلولا الحواس لما كان للأشياء الخارجية وجود بالنسبة الينا على الاقل . فالحواس هي التى كونتها . ولذلك لم يتردد بركلى فى انكار المادة انكاراً تاماً . ولا يعترف بوجود شيء الا حقيقة واحدة يحسها فى نفسه وهى العقل

أجهز بركلى على المادة فمحاها من صفحة الوجود ، وأشفق على العقل فسلم به ، ولكن جاء بعده هيوم ، فأبى أن يقف عند هذا الحد المتواضع من الانكار ، وسارع إلى العقل بمعوله فألقاه فى هوة العدم ! ما هذا العقل الذى يتشبث بوجوده بركلى ؟ إبحث فى نفسك بحثاً باطنياً وحاول أن تعثر على ذلك العقل باعتباره ذاتاً مستقلة ، فلن تعود بطائل ، ولن تصادف فى نفسك إلا سلسلة من الافكار والمشاعر والذكريات يسوق بعضها بعضاً ، فليس ثمة عقل ، ولكنها عمليات فكرية وصور ذهنية لا أقل ولا أكثر . وإذا فقد انهار العقل كما انهارت المادة من قبل ! وهكذا قوضت الفلسفة بفؤوسها كل شيء ، ثم وقفت بين تلك الانقاض الخربة لا تجد وقوداً يذكيها ، فقد ضاع العقل وضاعت المادة ولم يبق لها منهما شيء ! ؟

ولكن الله قيض لها فيلسوفنا العظيم « عمانوئيل كانت » فأعاد البناء من جديد ، وشيده على أسس قوية ثابتة لاتزال قائمة حتى اليوم . فقد أنكر باديء ذى بدء ماذهب اليه لوك والمدرسة الانجليزية انكاراً تاماً ، لان التجارب التى يقول عنها لوك إنها مصدر معرفتنا جميعاً ، لايتحتم أن تلازمها الصحة دائماً ، فهى ان صحت نتائجها اليوم فقد تخطيء غداً ، فضلا عن أنها تقتصر على الجزئيات ولاتتعداها الى التعميم الذى ينزع اليه العقل بطبيعته ، ومما لاريب فيه أن لدينا من الكليات العامة مايستحيل عليه الخطأ ، كأن نقول مثلا ان ٢ × ٢ = ٤ فهذه حقيقة لم نعتمد فى تحصيلها على تجربة خارجية ، وانما اكتسبت ضرورتها من طبيعة عقولنا ، فليس العقل الانسانى سلبيا ، ليس قطعة من الشمع تولد خالية ثم تخط فيها التجارب ما تشاء كما ذهب لوك ، كلا ولا هو اسم يطلق على سلسلة الحالات العقلية كما ادعى هيوم ، انما هو عضو فعال ، يتناول الاحساسات التى تأتى اليه من العالم الخارجي فيؤلف بينها ، ويكون منها الافكار المختلفة ، ويصبها فى القالب الذى يشاء . العقل الانسانى قوة ايجابية تعمل على تنظيم ملايين التجارب التى تصادف الانسان فى حياته ، وتخلق منها وحدة فكرية منظمة ! ولكن كيف ؟

يجتاز العقل فى ذلك مرحلتين : الاولى هى الانتقال من مجرد الاحساس إى وصول الأثر الى الذهن ، الى الادراك ، أى فهم ذلك الاثر المعين . والثانية هى الانتقال من هذه المدركات الجزئية الى المعقولات والكليات العامة . وسنفصل هذا الاجمال فيما يأتى :

تأمل نفسك لحظة ، تجد عدداً من المؤثرات لايحده الحصر يندفع اليك ويتسلل الى ذهنك عن طريق الحواس ، فهذه عشرات الاصوات تنتقل الى اذنك من جهات مختلفة ، وتلك آلاف المرئيات تبعث ضوءها الى عينيك ، وهاهوذا جسمك يحس فى كل جزء من اجزائه بالمؤثرات المختلفة : يحس نعومة ملابسك أو خشونتها ، كما يحس الحرارة والبرودة . فهذه الاحساسات العديدة المختلفة التى تصل الى ذهنك من ابواب متباينة ، تسبح فى العقل صماء دون ان يكون لها معنى خاص إلا اذا تألفت أجزاؤها وارتبطت بمكان وزمان ، وذلك التأليف والربط لابد لها من قوة ايجابية ، هى العقل . فانت قد ترى اللون الاصفر وتحس الشكل الدائرى ، وتشم رائحة معينة ، وتذوق طعما خاصا ولا يكون لكل تلك المؤثرات مدلول واحد ، الا اذا جمع العقل هذه الاشتات وربطها بمكان خاص — فى جسم برتقالة مثلا — وعندئذ ينتقل احساسك الى ادراك لهذا الشيء المعين فالواقع ان الاحساسات الأولية ليست الا مؤثرات متفرقة تجيء الينا من الخارج . ولا يكون لها معنى بذاتها ، وهذا ما يشعر به الطفل فى اول حياته العقلية . اذ يرى لون البرتقالة ويلمسها بيده ، ويشمها ويذوقها . ولكنه مع ذلك لا يعرفها فاذا ما نمت قواه العقلية ، اخذت هذه المجموعة من الاحساسات تتجمع وترتبط بهذا الشيء ، وبذلك ينتقل حسه الى مرتبة المعرفة والادراك ، ولا تعود صفات البرتقالة تؤثر فى ذهنه مستقلا بعضها عن بعض كما كانت الحال من قبل ، بل تنتقل الى ذهنه كتلة متحدة مترابطة لا انفصال فيها . ولكن كيف أخذت تتجمع هذه الصفات فى الذهن حتى تكون منها كل

لا يتجزأ له مدلول خاص ؟ هل تم ذلك بطريقة آلية ، أى اخذت تتراص بجانب بعضها البعض . فسارع لون البرتقالة ووقف بجانب الرائحة والطعم والشكل . حتى تكونت صورة البرتقالة فى الذهن ، دون ان يتدخل العقل فى هذا التكوين ؟ هنا يجيب (لوك) ومدرسته بالايجاب وينكره (كانت) كل الانكار ، ولا يفهم كيف تتحد جزئيات الاحساس التى سلكت الى الذهن الف سبيل وسبيل من تلقاء نفسها . الا ان يكون هناك قوة تنظم هذه الفوضى الحسية ، قوة تؤلف بينها وتوجهها فى الطريق التى تريد ، قوة تشكلها وتصبها فى قالب المعنى . هى قوة العقل . وآية ذلك ان الانسان يأتيه فى كل لحظة آلاف الاحساسات ، ولكنه لا يقبلها جميعا ، بل ينتقى من ذلك الجيش الجرار من الدوافع والمؤثرات مايلائم حالته فى تلك اللحظة المعينة ، وهذا دليل قاطع على فاعلية العقل ، ولو كان الأمر يتم بالطريقة الآلية التى زعمها لوك وهيوم ، لما كانت هناك أفضلية لاحساس على آخر ، بل يرغم الانسان على قبولها بأسرها ، فكل صوت يقرع الاذن لابد أن يصل الى الذهن ، وهكذا فى سائر الحواس . ولكن ليس هذا هو الواقع . فهاهى ساعتى تدق على مكتبى أثناء كتابة هذا المقال ، ولكنى لا أسمعها لأنى لا أريد أن أسمعها فاذا ماتوجهت بارادتى الى استماعها ، تم ذلك على الفور مع أن صوتها لم يرتفع عن ذى قبل . وقد تكون الأم نائمة مستغرقة فى نومها ، فتحدث جلبة شديدة ، أو تمر موسيقى أمام البيت بطبلها وزمرها ، فلا تستيقظ من نعاسها ، أما اذا تحرك ابنها الرضيع فى مهده حركة خفيفة ، أو بكى بصوت منخفض ، هبت من نومها مذعورة . فما الذى آثر عندها هذا الصوت الخافت على مئات الأصوات التى تقرع أذنها ؟ الا أن يكون هناك قوة فعالة تعرف كيف تختار من المؤثرات ماهو صالح ملائم .

خذ مثلا آخر يدلك على إيجابية العقل فى الادراك . أنظر الى هذين الرقمين ٣ ، ٢ : وأجر فيهما عملية الجمع ، تسارع الى ذهنك النتيجة وهى خمسة ، ثم أقرأهما ثانية معتزما اجراء عملية الضرب تجىء الى ذهنك نتيجة أخرى هى ستة . هاتان فكرتان أو نتيجتان مختلفتان نشأتا فى الذهن من باعث واحد ، وكان السبب فى اختلافهما اختلاف الغرض الذى توجه به الذهن نحو ذلك الباعث . ويتضح من هذا أن العقل ليس مجرد آلة « كمرة » تلتقط الاحساسات كما هى ، وعلى رغم أنفها ، ولكنه قوة تدعو من البواعث ما تريد . ثم تفكر فيها بأشكال مختلفة . وهو يستعين فى هذا التفكير بالغرض الذى يوجهه الى المؤثرات الخارجية .

ولما كان لا مندوحة للعقل عن أن يفرض مكانا وزمانا يسند اليهما أثر الاحاسيس المختلفة . لانه لا يستطيع أن يتصور مدركات مطلقة ، فليس فى مقدوره مثلا أن يفهم اللون الابيض مجرداً عن « مكان » ولا أن يدرك حادثة الا اذا نسبها الى « زمان » الى ماض أو حاضر أو مستقبل ، أقول لما كان لا مندوحة له عن فرض الزمان والمكان لفهم المادة التى تقدمها له المؤثرات الخارجية . اخترعهما اختراعا ، فهما ليسا حقيقتين فى ذاتهما . أى ليس فى الوجود الخارجى زمان ولا مكان ، انما خلقهما العقل ليتخذهما وسائل للادراك ، وسبيلا لصب المعانى فى المحسات .

شرحنا فيما سبق كيف تنتقل الاحساسات المنبعثة من الاشياء الخارجية الى ادراك ، ونريد الآن أن نوضح الخطوة الثانية التى يجتازها العقل فى أداء وظيفته ، عند الانتقال من هذه المدركات الى مرتبة المعقولات أى تصور العلاقات الكائنة بين أجزاء الوجود بعضها ببعض ، وبعبارة أخرى تلك الخطوة التى يخطوها العقل من مرحلة التجارب الجزئية الى العلوم الكلية . فكما أن للعقل قوة يتمكن بها من تنظيم البواعث المختلفة فى قالب المكان والزمان ، فيدرك بذلك معنى الاشياء ، كذلك له قوة أخرى تجىء بعد هذه ، وهى التى تنظم تلك المدركات فى قوانين عامة ، كقانون السببية ، وقانون الجاذبية ، وما الى ذلك من النواميس التى تبوب على أساسها معلومات الانسان ، وهذه العملية هى كنه العقل وطبيعته ، فالعقل عبارة عن عملية تنظيم التجارب وتبويبها ، وهو فى هذا التبويب والترتيب ايجابى فعال ، وليس كما توهم لوك وهيوم قطعة من الشمع اللدن التى تشكلها التجارب المختلفة والا فهل تستطيع أو تتصور الوحدة الفكرية التى تشتمل على فلسفة (ارسطو) ، والتى تكونت ولا ريب من جزئيات أتته عن طريق التجربة والحواس هل تستطيع أن تتصور ان تلك الجزئيات قد نظمت نفسها بطريقة آلية حتى بدت متماسكة فى فلسفة متحدة ، دون أن يتدخل العقل فى ذلك التنظيم ؟

تخيل ان بطاقات دار الكتب قد انتثرت فى غرفها واختلطت ألفها بيائها ، فهل تصدق ان هذه البطاقات تستطيع أن تجمع نفسها وترتب صفوفها ، وتسلك طريقها الى قمطراتها فى نظامها الابجدى ؟ !

هل يمكن ان يتم ذلك دون أن يتدخل الانسان ويتناولها بالترتيب؟؟
كذلك حال العقل مع المدركات ، فهي فى الكون شتيت متضارب ، وهى تصل الى الذهن فى هذه الفوضى : ألوان متباينة ، وأصوات مختلفة ، وأذواق عدة ، وأشكال متنوعة ، فيأخذ العقل فى ترتيبها وتبويبها حتى ينتهي بها الامر الى هذه العلوم المنظمة المنسقة ، وبديهى ان هذا التنسيق لم ينبعث الينا من الاشياء الخارجية نفسها ، وإذن فقد أخطأ لوك كل الخطأ حين زعم ان العقل سلبى ، تنقش فيه التجارب بطريقة آلية ، فاذا لم يكن الامر كذلك فهل يستطيع لوك ان يبين لنا كيف ان التجارب الواحدة تؤثر فى مجموعة من الرجال ، فتخرج منهم هذا الغبي وذاك الفيلسوف ؟

كلا ! لا مندحة عن التسليم بايجابية العقل وقوته فى تكوين المدركات من الاحساسات أولا ، ثم فى تكوين المعقولات من المدركات ثانيا .

وان صح هذا التحليل ، فيكون العالم كما نعرفه من تكوين عقولنا وصنعها ، فنحن لا نعلم عن الاشياء الخارجية الا مظاهرها التى تنتقل الينا ، وليس فى مقدورنا أن نتغلغل فى بواطنها ، وقد تكون هذه الصورة الذهنية التى كونتها عقولنا عن العالم الخارجى بعيدة جدا عن الحقيقة فى ذاتها ، فنحن لا نعلم عن القمر مثلا إلا ما انبعث الينا منه من احساسات زائدا ما عملته عقولنا فى تلك الاحساسات ، فتكونت لدينا من هذا المزيج صورة عقلية عن القمر ، أما ان هذه الصورة العقلية تطابق الواقع أو لا تطابقه ، فلا يستطيع البشر أن يجيب !

وهكذا أثبت (كانت) وجود المادة ، الا انه انكر ان تكون فكرتنا عنها على مثال الحقيقة الواقعة .

ثم يعود (كانت) بعد ذلك فيرفض مازعمه لوك من أن العقل يولد كالصفحة البيضاء ، ويؤكد فى يقين انه انما يرث شعوراً لا يأتيه عن طريق التجربة والحواس ولابد لكل انسان أن يسلم بوجوده ، هو ذلك الشعور الذى يدلنا على ان هذا خير وذاك شر ، هو ذلك الشعور الذى لا يفتأ يؤنبك اذا نبوت عن جادة الخير ويطمئن مادمت سالكها ، هو ذلك الشعور الذى يحس من أعماقك انك لو اتبعت ما يمليه عليك ، وحذا حذوك البشر أجمعون ، لكان الخير كل الخير . ذلك الشعور الذى يقف لك بالمرصاد والذى يولد معك . هو الضمير . ومن ذا الذى يستطيع أن ينكر هذا الصوت الواضح الجلى الذى يضيق للشر ويطمئن للخير . فأنت قد تكذب . وقد تنهب حقوق غيرك .

ولكن لا يسعك الا الاعتراف ولو أمام نفسك ان هذا خطأ ولو خيرت لما رضيت أن يسود الكذب والسلب بين الناس . وكل انسان على الاطلاق يحمل بين جنبيه هذا الوازع الذى لا تأخذه عن أعمالك سنة ولا نوم ، والذى يملي على صاحبه فى غير لبس ولا غموض ما يجوز عمله وما لا يجوز .

وهذا الخير الذى يمليه الضمير انما يقصده لذاته على الرغم من انه قد يتضارب مع صالح الفرد تضاربا صريحا . فالمثل الاعلى الذى يصبو اليه هو اداء الواجب دون النظر الى السعادة الشخصية .

ووجود الضمير دليل قاطع على ما للانسان من حرية الارادة لأن معنى رقابته أن الانسان يستطيع أن يسلك هذا السلوك أو ذاك ولو كان الانسان مرغما على أن يسير فى طريق مرسومة لما كان لهذا الضمير فائدة . وكذلك يدل وجود الضمير على خلود الروح . ذلك لان الحياة الدنيوية لا تأخذ المجرم بالقصاص فى كل الاحيان ، لا بل تضرب لنا الحياة آلاف الأمثلة بأن الشر هو السبيل الى السعادة الشخصية ، تعلمنا الحياة أن نمكر بالآخرين وأن من لا يظلم الناس يظلم ، ولكننا على الرغم من ذلك ننشد الخير وننبذ الشر ، فهذا الشعور لم يستمد من الحياة طبعا ، فمن أين جاءتنا تلك النزعة للخير اذا لم نكن نعلم فى أعماقنا أن هذه الحياة الدنيا ليست كل شيء ، بل هي جزء من حياة ثانية خير وأبقى من الأولى ، وأن هذا الطيف الزائل ليس الا مقدمة لبعث جديد ؟

ثم يستطرد (كانت) فى هذا المنطق ، حتى يصل الى اثبات وجود الله عز وجل ، لانه اذا كان الشعور بالواجب الذى يمليه الضمير يتضمن الدليل على حياة أخرى خالدة تجزى كل امرئ بما قدمت يداه ، فهذا الخلود ناشيء بالضرورة عن سبب يلائمه ، كى تتكافأ العلة والمعلول ، أو بعبارة أخرى لا يمكن أن تتفرع الحياة الخالدة الا عن إله خالد .

هذا هو البناء الشامخ الذى شيده كانت ، ولا يزال قائما فى عالم الفلسفة تعمل فيه معاول الهدم فلا تنال منه الا كما تنال الريح الهينة من الجبال الشم الرواسخ ، وعلى الرغم من أن كتاب القرن التاسع عشر حاولوا أن ينقضوا رأيه فى الأخلاق والدين فقال قائل أن ليس ثمة ضمير يملي الخير ، لان الخير ليس مطلقاً فما هو خير اليوم قد يكون شرا غدا ؟ وسخر ناقد من منطق (كانت) فى اثبات وجود الله ، فقال انه « كالحاوى » الذى يخرج من قبعته الفارغة مايشاء ، يريد بذلك انه انتزع نتيجة من مقدمات لا تؤدى الى ذلك . أقول على الرغم من ذلك جميعا فلا يسعنا الا أن نطأطىء الهامات اجلالا له واكبارا .

المغنيـة الضريـرة

من رسالة إلى صديق

أنت تأخذ على تبرمي بالحيـاة وانقباضي عما تزخر به القاهرة من شهوات السمع والبصر . ولـكن أنسيت أن العين التى بيضها الحزن لا تستطيع أن تجتلى جمالا يرف فى روضة . ولا حسنا يشرق فى طلعة . وأن الفم المريض أزهد ما يكون فى طعام وشراب . أنسيت أن صديقك كان يقطع أيام الشباب فى مثل طلعة الصبح أشراقا وبهجة . ثم أمسى وقد استحال كل أولئك الى ذكريات أليمة تعـاوده فى غرفة معزولة تدور به فى مثل حلقة الواو كربا وضيقاً ، فهو أبدا موصول الحنين متتابع الزفرات . أنسيت آمالى وأحلامى ؟ « أما الآمال فقد عصفت بها النكبات حتى أحالتها إلى هشيم تذروه الرياح » وأما الاحلام فأنت تعرف أنها تكشفت عن رجاء ضائع وشباب هالك وحسرة لذاعة من شماتة الاعداء . ولكن مالى وللحديث فى هذا ولست بسبيل من أن أتحدث اليك فيه اليوم ؟ وإذن فدعنى أحدثك حديث المغنية الضريرة التى سمعتها ليلة الامس فى حفل سعيت إليه فى رفقة من الاصدقاء على الرغم منى ... هى حلوة القسمات بديعة التكوين جميلة كالزهرة تسند فى حدود الخامسة عشرة من عمرها . أخذت مجلسها على استحياء فيما يشبه أن يكون ذلة وانكساراً وشيئاً من الخجل غير قليل . وصدقنى أن مرد ذلك فيما أعتقد أنها فقدت بصرها وهى طفلة لم تدرج بعد من لفائف مهدها . . وما أحسبك تعتقد أن سلاح المرأة فى هذه الدنيا شيئاً غير سهام العين . وفتنة اللحاظ ترسلها ذابلة مريضة ، فاذا بها السيف حدة ومضاء ، والشرك المنصوب لا يخطىء الفريسة ولا يعد والغرض . ولـكن الاقدار التى قست عليها جردتها من سلاحها الوحيد كامرأة لم تشأ أن تقسو عليها القسوة كلها فمنحتها صوتا عذبا حنونا يفيض بالأسى وتقطر من جوانبه اللوعة . . . وارتفع صوتها بالغناء حزينا شاكيـا يهيج ودائع القلب . ويستدر روافد الدموع .

أتعرف ذلك البلبل الذى هاجته جيوش الظلام . قصياً عن العش الذى عرف ، والدوح الذى ألف ، والنبع الذى منه رشف ، والجو الذى فى أنحائه غنى وهتف ، أسمعته وهو بين لهفة إلى مهوى الفؤاد تقيمه ، ووحشة من رهبة الليل تقعده ، يصب ألحانه فى إذن الوجود باكية حزينة تهز أوتار القلب . وتنتزع منه العطف والاشفاق والرثاء ؟ أسمعته يشكو بغير لسان ، ويبكى بغير دموع فيبعث لك من الماضى البعيد كل دفين ومستور ؟ إن كنت سمعته على هذه الصورة التى أسلفت لك . وكنت مثلى تحيا على أمل عزيز لديك ففقدته — وكنت مثلى تذيب حبة قلبك وجدا على حبيب يجزيك على عبادته كفرانا وجحوداً وعلى دمعك المسفوك ووجدك المبرح هوانا ونسيانا ، إن كنت كذلك فأنت وحـدك الذى يستطيع أن يدرك ذلك الأثر العميق الذى خلفته فى نفسى تلك الفتاة الناشئة بصوتها الساحر الجميل . غناء كأنفاس الفجر ندية لينة ، وشدو يصافح الاسماع فى رفق ولين كنجوى العاشقين فى هدأة السحر وقد بسمت لهما الدنيا وهاودتهما الأقدار والسلام ! ! .

عبد الوهاب حسن

بقلم نشر مطبوعات الحكومة بوزارة المالية



ابن خلدون والتفكير المصري

تتمة بحث "ابن خلدون فى مصر"

للاستاذ محمد عبد الله عنان

٤

قضى ابن خلدون فى مصر ثلاثة وعشرين عاما (٧٨٤ - ٨٠٨ ه) ولكنها كانت بين مراحل حياته أقلها حوادث وأقلها انتاجا.

فاما عن الحوادث فان الحياة السياسية العاصفة التى عاشها ابن خلدون بالمغرب، والتى جاز خلالها معتركا شاسعا من المنامرات والدسائس الخطرة، وعانى كثيرا من الخطوب والمحن، كما نعم مرارا بمراتب النفوذ والسلطان، والتى هى فى الواقع صفحة قوية شائقة فى تاريخ المغرب فى أواسط القرن الثامن: هذه الحياة المضطرمة العاصفة، استبدلها المؤرخ فى مصر بحياة أكثر هدوءا ودعة. وفى مصر يعيش ابن خلدون شخصية عادية لا علاقة لها بشئون الدولة العليا، بعد ان لبثت بالمغرب ربع قرن روح هذه الشئون، يتجرد من ثوب السياسى المغامر ليتشح بثوب العالم المقتدر، وليستوحى نفوذه المحدود من هذه الناحية. على ان المؤرخ لقى فى هذه الفترة حادثين من أهم حوادث حياته، هما فقد اسرته. و لقاؤه للفاتح التترى تيمورلنك.

واما عن الانتاج، فقد رأينا ان المؤرخ حقق أعظم أعمال حياته، أعنى كتابة تاريخه الضخم ومقدمته الرائعة قبل مقدمه الى مصر. ولا نعرف ان ابن خلدون وضع أثناء مقامه بمصر مؤلفا جديداً. غير أن الذى لا ريب فيه هو أن وجوده بمصر على مقربة من المكاتيب والمراجع الشاسعة قد أتاح له فرصة التنقيح والتهذيب فى التاريخ والمقدمة، خصوصا فيما تعلق فيهما بمصر والشرق، كذا استمر المؤرخ فى كتابة ترجمة حياته أثناء إقامته بمصر، واستمر فيها الى قبيل وفاته، وضمنها فصولا جديدة عن خواص دول المماليك المصرية، ونشأة التتار مما أشرنا اليه فى موضعه. وكتب أثناء مقامه بالشام وصفاً لبلاد المغرب ورفعه إلى تيمورلنك كما قدمنا. كذلك لا ريب فى أن ابن خلدون كان يعنى فى دروسه ومجالسه ببث مذاهبه وآرائه الاجتماعية وشرحها.

غير أن ابن خلدون لم يستطع على ما يظهر أن ينشىء له بمصر مدرسة حقيقية، يطبعها بآرائه ومناهجه، وقد كان حريا أن ينشىء مثل هذه المدرسة فى بلد انقطع فيه للبحث والدرس أعواما طويلة. نعم أن التفكير المصرى المعاصر ليس خلواً من تأثير ابن خلدون كما سنرى، ولكن هذا التأثير الذى كان حريا أن يزدهر بمصر وأن ينبث فى مدرستها التاريخية التى كانت يومئذ فى أوج قوتها، كان ضئيلا محدود المدى. ونستطيع أن نرجع ذلك الى الروح الذى استقبل به المؤرخ من المجتمع المصرى المفكر، وهو روح نفور وخصومة، فقد جاء ابن خلدون الى مصر يسبقه حكمه على المصريين فى مقدمته بأنهم قوم «يغلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب» (١) ويورد ابن خلدون هذه الملاحظة فى معرض كلامه عن أثر الهواء فى أخلاق البشر ويعتبرها نتيجة لوقوع مصر فى المنطقة الحارة. على أنه مهما اتخذت هذه الملاحظة سمة البحث العلمى فانها لا يمكن أن تقابل ممن قيلت فى حقهم إلا بين الاستياء والحفيظة. وكان طبيعياً أن يحدث هذا الغرس السيء أثره فى شعور المجتمع المصرى المفكر نحو المؤرخ. وكان هذا المجتمع نفسه يجيش عندئذ بكثير من عوامل الخصومة والمنافسة، وزعامته يطبعها لون من الجفاء والقطيعة. وكان اضطرام المنافسة بين أعلام التفكير والادب يومئذ سواء فى ميدان التفوق والنبوغ أو فى تحصيل ما تسبغه الزعامة الادبية من الجاه والرزق ظاهرة هذه الخصومة. وكان المجتمع القاهرى الادبى ينقسم عندئذ إلى شيع وطوائف تنحاز كل شيعة أو طائفة إلى زعيم أو جناح معين من الزعماء فتؤيد جهوده الادبية وتناجز خصومه فى

(١) ابن خلدون — المقدمة (بولاق) — ص ٧٣

ميدان الجدل . فلم يكن من السهل على أجنبي مثل ابن خلدون جاء ينتظم فى سلك هذا المجتمع منافساً فى طلب الجاه والرزق أن ينعم بصفاء الافق، أويلقى خالص المودة والصداقة ، هذا إلى ماكان يغلب على خلاله من حدة وصرامة وكبرياء تزيد من حوله الجفاء والقطيعة .

كان طبيعياً أن تلقى آراء ابن خلدون ودروسه فى هذا الافق الكدر من الاعراض والانتقاص أكثر ما تلقى من الاقبال والتقدير ، وان تكون محدودة الذيوع والاثر . ومع ذلك فقد درس على ابن خلدون جمهرة من أعلام التفكير والادب المصريين وانتفعوا بعلمه ، وظهر أثره جليا فى بعض ثمرات التفكير المصرى المعاصر . وممن درس عليه وانتفع بعلمه الحافظ ابن حجر العسقلانى المحدث والمؤرخ الكبير فهو يقول لنا فى كتابه « رفع الاصر عن قضاة مصر » إنه « اجتمع بابن خلدون مراراً وسمع من فوائده ومن تصانيفه خصوصاً فى التاريخ » وإنه « كان لسنا فصيحاً حسن الترسل وسط النظم مع معرفة تامة بالامور خصوصا متعلقات المملكة » ١ . وإنه كان جيد النقد للشعر وإن لم يكن بارعا فيه . بيد أن ابن حجر يحمل على ابن خلدون بشدة ، وينقل فى ترجمته كثيراً مما قيل فى ذمه وتجريحه . فهو يقول لنا فى تاريخه ان ابن خلدون مؤرخ بارع « ولكنه لم يكن مطلعاً على الاخبار على جليتها ولا سيما أخبار المشرق » (٢) ويعارض المقريزى فى مدح المقدمة ويرى أنها لا تمتاز بغير « البلاغة والتلاعب بالكلام على الطريقة الجاحظية » وان محاسنها قليلة « غير أن البلاغة تزين بزخرفها حتى يرى حسناً ما ليس بحسن » (٣) وأما ابن خلدون كقاض فان ابن حجر يقول لنا إنه باشر القضاء بعسف وبطريقة لم تألفها مصر وانه لما ولى المنصب تنكر للناس وفتك فى كثير من أعيان الموقعين والشهود ، وانه عزل لاول مرة بسبب ارتكابه التدليس فى ورقة (٤) ثم ينقل فى هذا الوطن كثيراً مما قيل فى ذم المؤرخ وتجريحه . من ذلك » ان أهل المغرب لما بلغهم ولايته للقضاء تعجبوا ونسبوا المصريين إلى قلة المعرفة

١) رفع الاصر (المخطوط المشار اليه) ورقة ١٦٠ — ونقله السخاوى فى الضوء اللامع

٢) أنباء الغمر فى أنباء العمر (مخطوط دار الكتب) ج١ص٧١١

٣) رفع الاصر » المخطوط المشار اليه ،، ورقة ١٦٠

٤) رفع الاصر — ورقة ١٥٩

بحيث قال ابن عرفه (١) « كنا نعد خطة القضاء أعظ المناصب فلما وليهاهذا عددناها بالضد من ذلك » ومن ذلك قول الركراكى أحد الكتاب الذين عملوا مع ابن خلدون « انه عرى عن العلوم الشرعية » بل ينقل ابن حجر أيضاً بعض المطاعن الشخصية والاخلاقية التى قيلت فى حق المؤرخ من ذلك ما نقله عن العينتابى وهو أنه كان يتهم بأمور قبيحة (٢) وما نقله عن كتاب القضاة للبشبيشى، وهو « أن ابن خلدون كان فى أعوامه الاخيرة يشغف بسماع المطربات ومعاشرة الاحداث وانه تزوج امرأة لها أخ أمرد ينسب للتخليط » وانه كان « يكثر من الازدراء بالناس «وانه حسن العشرة إذا كان معزولا فقط فاذا ولى المنصب غلب» عليهم الجفاء والنزق فلا يعامل بل ينبغى أن لا يرى » وهذه أقوال تنم عن خصومة مضطرمة ومبالغة فى الانتقاص تنحدر إلى معترك السباب والقذف . وقد كان البشبيشى (٣) بلا ريب من الخصوم المؤرخ وأشدهم وطأة عليه . وقد دون حملاته على المؤرخ فى كتاب ألفه فى تاريخ القضاة ولم يصل الينا ، ولكن ابن حجر ينقل الينا منه تلك الفقرات الشخصية اللاذعة

وأخيراً يقول ابن حجر أن ابن خلدون كان يتمسك بزيه المغربى ويأبى أن يرتدى زى القضاة لا لشىء سوى حبه المخالفة فى كل شىء (٤)

وموقف الحافظ ابن حجر من ابن خلدون واثره يدعو الى التأمل، فهو على رغم اتزانه واعتداله وعفة قلمه ينساق هنا الى نوع من التجريح والانتقاص ليس مألوفا فى كتاباته . ولا ريب ان فى لهجته واقواله مبالغة وتحامل ، ولكن لا ريب ايضا ان لها قيمتها فى تقدير الراى المصرى المعاصر لابن خلدون ، بل نستطيع ان نعتبرها ممثلة لراى الفريق المفكر الذى كان يخاصم المؤرخ ويشتد فى تجريحه ، والحملة عليه ، وقد كان الفريق الاقوى بلا ريب لانه كان يضم كثيراً من المفكرين والفقهاء البارزين مثل ابن حجر ، والجمال البشبيشى ، والركراكى، وبدر

١ ابن عرفة من فقهاء الغرب ، وكان خصما لابن خلدون

٢ أنباء الغمر ١ ص ٧١١

٣ وهو الجمال عبد الله البشبيشى . ولد سنة ٧٦٢هـ بقرية بشبيش من أعمال الغربية . وتوفى سنة ٨٢٠ هـ . وكان من أكابر فقهاء الشافعية ومن أقطاب الادب واللغة . وقد ولى الحسبة بالقاهرة حينا ،، ترجمته فى الضوء اللامع — القسم الثالث المجلد الثانى ص٥١١ ،،

٤ رفع الاصر فى مواضع مختلفة من ترجمة ابن خلدون ،، الورقة ١٥٨ الى الورقة ١٦٠

اسماعيل صبري

بمناسبة مضى عشر سنوات على وفاته

يوم نستقبل الربيع نذكر الخمائل على ضفاف النيل وهى ترسل نسماتها البليلة الندية ، والطير جاثمة فوق غصونها تشدو بأغانيها الجميلة الشجية ، ومن خلال أشجارها تجرى جداول تدفقت فيها المياه العذبة الروية . . اليوم الذى تستجيب فيه العين والأذن للزهر وللطير وللماء ، لاننسى أنه اليوم الذى ذوت فيه زهرة أرجة ناضرة ، وانقطع صوت لين حنون ، وجف فى مجراه ماء عذب دفيق : ففى مثل هذا اليوم استوفى اسماعيل صبرى ظمء حياته

فهلا يجمل بنا اليوم ، يوم تمضى على وفاته عشر سنوات أن نذكره ولو بهذه الاجمالة الموجزة ؟

لانريد أن نترجم حياة صبرى وإن كانت خطيرة ، فقد تدرج فى وظائف الحكومة حتى شارف ذروتها ، ذلك لأن هذه المناصب الرفيعة ، وإن أحلت صاحبها فى حياته مقاماً محموداً ، أهون على الناس من أن تبعهم على أن يحفلوا بأمره بعد أن بت ما كان يصلهم به من أسباب الحياة ، هذا إلى أن مراد القول أضيق من أن يستفيض لترجمة شاملة وافية تتبين منها ماتركته أطوار حياته من آثار وندوب فى هذا الجانب الروحى الذى يمس النفس الانسانية فيصل بين أجزائها وإن اختلف ما يحفها من عهود وبيئات

استقبل صبرى حياته ، فى أوائل النصف الثانى من القرن الماضى ، وقد تجمعت عدة جهود أدبية وقامت فيما يشبه الثورة: فبعثت طائفة من معاجم اللغة وأسفار الأدب ودواوين الشعر من خزائنها وطبعت ، وأخذت الصحف الأدبية تنشأ وتعمل لتقويم اللغة وإحياء الأدب العربى ، وأعيدت البعوث إلى أوربا بعد أن وقف إرسالها أيام عباس وسعيد ، وأقيمت نظارة المعارف وعهد إليها بأمور التعليم وأنشئت دار الكتب ومدرسة المعلمين ، وظهرت مسارح التمثيل والموسيقى والغناء وغير هذا مما لم يكن إلا ناحية من نواحى الثورة الاجتماعية التى أقامها الخديو اسماعيل يوم رسم لمصر خطة الاتجاه إلى أوربا واقتباس حضارتها الجديدة

فى هذه البيئة التى يدب النشاط فى جنباتها فيبتعث الملكات الهامدة ، بدأ صبرى يقرأ الشعر ويحبه ، وأخذ ينعم النظر فيه ويحاول ان يقلده ، حتى استقامت له وهو فى السادسة عشرة بضعة قصائد فى مدح الخديو وتهنئته نشرتها له مجلة «روضة المدارس المصرية » التى أنشأها جماعة من صفوة الكتاب البارزين إذ ذاك . وكانت هذه الأشعار مجرد تقليد واضح فى أغراضها ومعانيها وأساليبها لمن سبقه من شعراء عصره كالبارودى وعبد الله فكرى ، وإن ظهرت عليها حيناً مسحة رقيقة من روحه وشخصيته .

ولكن هذه البيئة الأدبية النشيطة لم يقتصر أثرها على توجيه صبرى إلى الأدب وإذكاء ميله إلى الشعر ، بل حببت اليه قراءة الشعر العربى القديم من ناحية ، وحثته على قراءة الأدب الفرنسى منذ أرسل إلى فرنسا ليدرس الحقوق فى جامعة إكس من ناحية أخرى . فقرأ الشعر العربى وتذوقه وأحب منه بوجه خاص شعر البحترى ، ذلك ان صبرى ، كما وصفه الدكتور هيكل ، (ابن بلد) والبحترى ، كما قال حافظ ابراهيم « يأخذ قارىء شعره بالحضن» وقرأ الأدب الفرنسى وصادف فيه جمالا يرضى عاطفته ، وسيولة تروى شعوره . وبهذا تأثر شعر صبرى ببعض مميزات الشعر العربى حينا ، وببعض مميزات الشعر الفرنسى حينا ، وببعض مميزاتهما معاً حيناً . ولكن مامدى هذا التأثير فى أطواره الادبية ، وماهى مظاهره فى نتاجه الشعرى ؟ هذا سؤال يتناول ناحية خطيرة فى دراسة الشاعر ، وأنا لا أملك الآن مايؤهلنى لبحثها فى دقة وتحقيق . ولكنى أرانى ملزماً بأن أعرض لها ولو فى هذه الصورة التى أعرف أنها ليست دقيقة كل الدقة ، وليست شاملة كل الشمول .

الدين العينى (العينتابى) . وقد امتدت آثار هذه الخصومة الادبية طوال القرن التاسع الهجرى حتى جاء السخاوى فى اواخر هذا القرن يردد كل ما ذكره ونقله شيخه ابن حجر فى ذم ابن خلدون وتجريحه والانتقاص من اثره ، ولكن فى لهجة مرة لاذعة تنم عن الخبث ، وقصد التشهير والهدم اكثر مما تنم عن قصد النقد الصحيح وهذه الروح المرة اللاذعة تبدو فى معجمه (الضوء اللامع) فى معظم تراجم الشخصيات البارزة . بيدانه يعترف فى كتاب آخر له « بنفاسة » مقدمة ابن خلدون ويبدو أكثر اعتدالا وتقديرا (١)

للبحث بقية

---

١) كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ـ (مصر) ص ١٥١

حين نقرأ هذه الاشعار القليلة التى خلفها صبرى نرى أنفسنا أمام طائفتين متمايزتين من الشعر ، تشتركان فى صفاء الديباجة ورواء الاسلوب بوجه عام ، وتختلفان فى الشعور الذى صدرتا عنه، وفى العاطفة التى أوحت بهما ، وفى المعانى التى تدوران عليها . وقد يضعف هذا الاختلاف حيناً وقد يشتد حينا آخر اشتداداً يحملنا على أن نزعم اننا لانقرأ شاعراً واحداً وإنما نقرأ شاعرين مختلفين . وليس فى هذا مايدهشنا ، فصبرى قد عاش مايقارب سبعين عاما ، مرت عليه اثناءها عهود الشباب والرجولة والكهولة، حاملة آراءها وأفكارها ، وخواطرها وخلجاتها ، وآلامها ولذاتها ، وتنقلت حياته أثناءها بين هذه الآراء المتضاربة التى يمتلىء بها العقل تبعاً لما يتغذى به من ألوان الثقافة المختلفة ، وبين هذه الاحساسات المتباينة التى يجيش بها القلب تبعاً لما يعرض له من مناسبات وملابسات .

فأما الطائفة الاولى من شعره فهى التى أنشأها بين العشرين والاربعين وأكثرها قصائد فى مدح أو تهنئة اسماعيل وتوفيق وعباس ، وفى هذه الاشعار نرى أثر الشعر العربى ظاهراً واضحاً ، ونرى أثر البحترى وحده ، على وجه الدقة ، عميقاً بارزا ، إلى حد يبيح لك أن تشرك شعريهما فى مميزات واحدة . خذ مثلا قصيدته فى تهنئة الخديو بحلول شهر رمضان ومطلعها :

بعلاك يختال الزمان تبختراً * وبقدرك الأسمى يتيه تكبراً

وقارنها بكثير من مدائح البحترى تجد أن صبرى قد تأثر فيها بالبحترى تأثراً هو أشد من تقليد شاعر لشاعر ، وهو أقرب إلى حلول روح شاعر فى جسم شاعر آخر . ولكن ، وعلى رغم هذا كله ، فان هذا الاثر تناول الديباجة وحدها فأكسبها جزالة وسهولة فى مفرداتها وتراكيبها ، من غير أن يمتد إلى المعانى فينتج منها شيئا جديداً قيما ، وذلك لأن البحترى ، وهو الوشيجة التى تصل صبرى بالادب العربى ، قل أن نظفر فى شعره بكثير من المعانى المبتكرة ، وقل أن نحب فيه غير متانة الأسلوب وسلاسته . تأثر فى هذا الطور الادبى ، بين العشرين والاربعين بالشعر العربى وحده ، فأين كان الشعر الفرنسى ؟ أليس من الشذوذ أن نرى صبرى قد ذهب إلى فرنسا قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، وبدأ إذ ذاك يقرأ الآداب الفرنسية ويتذوقها ويشدوها ثم لانكاد نظفر فى شعره اثناء هذا العهد بأثر قوى لهذا الشعر الفرنسى بل ولا لأى مظهر من مظاهر الحياة الاوربية ؟ ولكن يظهر أن صبرى قد أوتى ، إلى جانب حواسه المرهفة ، ذاكرة قوية مكنته من أن يختزن فيها مايعرض له حتى يتمثله فى تؤدة وأناة وحتى ينتجه مكتمل النمو مستوفى النضوج .

ونحن لانفترض هذه الموهبة ولانتكلف التماسها ، وانما يحملنا على الاطمئنان اليها أننا نجد فيها تعليلا لهذا الاضطراب الذى يغشى أطوار حياته الادبية . فقد قضى صبرى شبابه وشعره يكاد يقتصر على المدح وما إلى المدح مما تنفر منه نفس الشباب ، ولاتكاد تبين فيه أثارة من هذه العواطف التى يحفل بها الصدر فى ربيع الحياة ، بينما تفتحت شاعريته الجائشة وأخذ يتغنى بأناشيد الحب والهوى اثناء الكهولة التى تنطفىء فيها عواطف الشباب الفياضة . ذلك لان ذاكرته القوية قد استطاعت أن تحتفظ بهذه الاحساسات الفتية التى اختلفت عليها اثناء شبيبته ، حتى تفجرت بعد ذلك شعراً ثميراً لاتشوبه فجاجة الحس ولاغضاضة العاطفة .

ولهذا ظهر أثر الشعر الفرنسى فى هذه الاشعار التى تغنى فيها بالعاطفه الانسانية التى يسمونها الحب أو العطف أو الوداد وناجى فيها الله وتخوف وتشوف الى الممات ، وشاد بمجد وطنه واستنهض أبناءه الى استعادة الماضى المجيد . فى هذه القصائد والمقطوعات ، التى كتبت اسمه فى ثبت الخالدين ، ظهر أثر الشعر الفرنسى بارزاً شاملا : بارزاً حتى يكاد يخفى وراءه كل أثر للشعر العربى ، شاملا فلا يقتصر على الديباجة وحدها ، ولا على المعانى وحدها ، وانما ينال الأسلوب فيضفى عليه جمالا ورواء ، ويتعداه الى الفكرة فيمزجها بروح غربية لم يألفها الشعر العربى من قبل .

وهل ترى فى الشعر العربى مثالا لهذه القطع التى أنشدها فى الحب ؟ كلا ! فالشاعر العربى الغزل لايرى فى المرأة إلا (أنثى) جميلة الوجه دقيقة القسمات ، مهفهفة القوام رشيقة الأعطاف ، رخيمة الصوت شيقة الحديث ، يهصر صدرها ضما ويشبع ثغرها تقبيلا ، وهى تتهافت وجداً وتتهالك هياما ! والغزل فى الشعر العربى يضيق عن أن يستفيض لجميع وجوه الجمال الانسانى ، وينصب على ناحية الجمال الجسمى وحده ، فيصفه جملة أو تفصيلا، سواء كان الغزل عذريا أو إباحياً أو متكلفاً . أما شعر صبرى فى الحب فيختلف عن هذا الغزل العربى فى صلته بالمرأة ، إذ يتسامى عن الجمال المادى إلى الجمال المعنوى فى أرحب آفاقه وأشمل معانيه . فلا تستخفنا فيه هذه العيون والخدود ، والصدور والنهود ، والملاسة والرشاقة، والتقبيل والضم والتأود والتثنى ، والتأوه والأنين وانما نهتف فيه بالمثل الأعلى للمرأة فى أفتن جمالها ، وأذكى فؤادها ، وأنبل روحها .

وإني لأشعر حين أقرأ قصيدته (تمثال جمال) أني أنظر إلى صورة فنية رائعة ، فلا أميز بين هذه المرأة التي يهتف بها الشاعر ، وبين هذه المرأة التي يتخذها المصور رمزاً لمعنى من المعاني الانسانية كالألم أو الأمل أو الحنان ! بل اني لأحس حين أرتلها أن قلبي قد صفا مما به من شره وأنانية وغرور وكبرياء ، وأن صدري قد انطفأت فيه جذوات الحقد والحسد والغيرة والطماح ، وأن فؤادي قد غمر الخشوع والايمان مايغشاه من شك وضلال ، أشعر أني قد سموت من الارض إلى السماء !

ولم لا وصبري قد امتزجت فيه الروحية بالجمال ؟ ألم ينشأ على ضفاف هذا النيل الذي أوحى إلى الانسانية أن تبتكر ديناً وإيماناً ، ألم يلابس الحياة الاوربية وما تضفيه من فتنة وجمال؟ وبهذا اء تجاب للروحية المصرية وتمثل الجمال الاوربي ، وبهذا اجتمعت فيه مصر بروحيتها وأوربا بجمالها ، وبهذا كان نتاجه الشعري مزاجاً من الروحية في معانيه ومن الجمال في أساليبه .

وشعره في الحب ، بعد هذا ، سمح وديع رضى : لايفطر القلب أسى ، ولا يرسل من العين دمعاً ، ولا يبعث من الصدر أنيناً ، ولكنه لا يشيع في المرء غبطة بالحياة ورغبة في متاعها ولا يغرى بالاسراف والتوفر على لذاتها ، وإنما يجمع في شعره لوعة غير مسرفة ، ومتعة غير غالية ، ذلك لأن صبري لم يكن لاهياً ولا عابثاً ولم يكن كئيباً ولا محزوناً ، وإنما كان سمح الذوق ، وديع الخلق ، رضى النفس ، فما كان يذعن قلبه لامرأة واحدة تأسره وتطغى عليه ، وما كان ماجناً في حبه سادراً ، ولا متهتكا في لهوه مستهتراً ، وانما كان ينشد المرأة التي تشبع القلب ولا تتخمه ، وتروى الفؤاد ولا تغرقه ، وترضي الشعور ولا تقسو عليه .

وهذه الدعة التي تميز بها في حبه ، تشيع كذلك في شعره في مناجاة الله ، وازدراء الدنيا ، واستشفاف ما في الحياة الأخرى . فهو لم يكن ناسكا في الدنيا زاهداً في لذاتها ، ولم يكن مفتوناً بالحياة متوفرا على متاعها ، وإنما كان ينال من هذا في قصد ويأخذ من ذلك في اعتدال ، فاذا اسرف في حبه للحياة واستمتاعه بلذاتها الرخيصة ، ذكر الدنيا وما فيها من نكر وخداع وضلال ، وذكر ما بعدها من حساب وعقاب وثواب ، فاستعجل الموت وراحة القبر حيناً ، وناجى الله وأمل فيه حينا .

ولكن صبري الوادع الهادىء كان إذا تحدث عن وطنه جاشت الحماسة في أنحاء صدره ، وفاضت الحرارة في سياق شعره ، فمثلت الوطن بجلاله وروعته ، وأشعرت المصري بمجده وكرامته ، وأذكت نار الوطنية في فؤاده . وألهبت فيه عاطفة التضحية في سبيل بلاده

وهو في شعره يستلهم العاطفة ويستوحيها . كانت تختلف عليه غير السياسة وأحداثها فلا يحفل بها ، وتتوالى أمامه الكوارث والخطوب فلا يأبه لها ، وتتراكب في عينيه شؤون الحياة وأمورها ، وتزدحم بخيراتها وشرورها ، وتغص بلذاتها ومنغصاتها ، فلا تسترعى منه حاسة ولا تستثير في نفسه عاطفة ، بينما يجيش وجدانه وتهتز عواطفه عند موت طفل ، أو فراق صديق ، أو قراءة كتاب ، أو وقفة عند سفح الأهرام ؟ هذه الحوادث التي تمر بنا فلا نلتفت إليها كانت تثير شاعرية صبري بهذه المقطوعات التي تمس النفس الانسانية في أعمق حواسها وأدق مشاعرها . وهذه هي مهمة الفن : يفتح العين المغمضة ، ويذكى الحاسة المطفأة ، ويبعث العاطفة الهامدة ، ويحيى موات القلوب ، حتى يشركنا بحظ مما فاتنا من اللذات السامية التي قصرت على النفوس الموهوبة . وهل نرى بهجة الحياة إلا بعين المصور ، وهل نستمع إلى أنغامها إلا بأذن الموسيقى ، وهل نحس الحق والجمال إلا بقلب الشاعر ؟ وأي شعر أرفع من شعر صبري الذي (فاضت به) العاطفة من غير أن تتكلفه أو تكرهه عليه ؟ وأي شعر أنضج من شعر صبري الذي كان يؤمن بشيطانه ولا يعصى له أمراً ، فيستوحيه الشعر ولا يستجديه ؟ وأي شعر أسمى من شعر صبري الذي تشيع فيه هذه المرارة وهذا الحنين ، فيذيب في الصدر أطماع الحياة وآثامها ، ويسمو بالنفس عن متعها الخسيسة الهينة ، إلى المستوى الانساني حيث يستحيل البغض حباً ، والقسوة حناناً ، والأثرة إيثارا ، والتناحر وداداً ، والصراع عناقاً . . .

إلى جانب هذا النضوج في روح صبري ، نذوق جمالا في أسلوبه يملك على المرء نفسه حين يتلوه ، ويحمله على أن يرتله مرة بعد مرة وعلى أن يذكره آونة بعد آونة ، فلا يزداد الشعر إلا عذوبة وصفاء تزيد المرء لذة ومتاعاً ، ويخيل إلى المرء أنه أمام وجه جميل ، كلما أطال النظر اليه ، ازداد رغبة فيه وحباً له . وهكذا يقاس نضوج الفن : يزداد المرء بالصورة اعجابا كلما أنعم النظر فيها ، ويزداد حنيناً الى الموسيقى كلما أطال الاستماع اليها ، ويزداد فتنة بالشعر كلما أكثر ترديده وترتيله . وكيف لا يكون شعر صبري جميلا وقد استقاه من ينابيع فياضة بالجمال : تأثر بشعر البحتري الذي امتزجت فيه الجزالة بالسهولة ، وتأثر بالشعر

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

نظمها شاعر الخلود شوقى بك فغنتها احدى القيان ولم تنشر

بى مثل ما بك يا قمرية الوادى
ناديت ليلى ، فقومى فى الدجى نادى
وأرسلى الشجو أسجاعا مفصلة
أو رددى من وراء الأيك إنشادى
لا تكتمى الوجد ، فالجرحان من شجن
ولا الصبابة ، فالدمعان من واد
تذكرى ! هل تلاقينا على ظمأ ؟
وكيف بل الصدى ذو الغلة الصادى
وأنت فى مجلس الريحان لاهية
ما سرت من سامر إلا إلى نادى
تذكرى قبلة فى الشعر حائرة
أضلها فمشت فى فرقك الهادى
وقبلة فوق خد ناعم عطر
أبهى من الورد فى ظل الندى الغادى
تذكرى منظر الوادى ومجلسنا
على الغدير كعصفورين فى الوادى
والغصن يحنو علينا رقة وجوى
والماء فى قدمينا رائح غاد
تذكرى نغمات ههنا وهنا
من لحن شادية فى الدوح أو شادى
تذكرى موعداً جاد الزمان به
هل طرت شوقا ؟ وهل سابقت ميعادى ؟
فنلت ما نلت من سؤل ومن أمل
ورحت لم أحص أفراحى وأعيادى

الفرنسى الذى يفيض سيولة ورواء ، ويتجاوب الحاناً وأنغاماً ، وهو قبل هذا قد أوتى أذناً دقيقة تجيد انتقاء المفردات ، وتحسن الاستماع الى اتساق العبارات ، (وتحس نبو الوتر) . وصبرى كان مولعاً بالموسيقى ، مفتوناً بالغناء ، وكان متصلا بمن عاصروه من الموسيقيين والمغنيين ، وامدهم بكثير من المقطوعات الغنائية الشعبية ، ومن اجملها (قدك ياامير الاغصان) (الفجر لاح ياتجار النوم) . وكانت تستخفه عذوبة الحديث وبلاغة الالقاء ولهذا كان كثير التبديل والنقد لشعره ، وكان يبذل فى صياغته جهداً ناصباً ، حتى اذا استقام له البيت اوالبيتان اوالاربعة اهملها ثم نسيها ، فلم يبق لنا من شعره الا القليل .

هذه سوانح تخطر لى عندما اتلو شعر صبرى الذى لم تتطرق اليه البداوة العربية التى تغشى غيره من شعرائنا ، ا كتبها لنذكر صبرى (أستاذ الشعراء) الذى صبغ الشعر العربى الحديث بطابع نلمس آثاره فى شوقى وحافظ .

عبد الحميد عبد الغنى

طائرى الهاجر

فى قفار الفلاة كان مسيرى والشمس ترسل نارا
لفحات كأنها من سعير زادت اوارى أوارا

ليس فيها سوى رمال كثيب من فوقهن رمال
لا غدير ولا جناب رطيب تحنو عليه الظلال

متعبا يائسا أويت لكهف مالت عليه الصخور
وترامت بين جهد وخوف تضيق منه الصدور

غير انى أبصرت طيرا جميلا ماراعه أن رآنى
لونه كالسماء ، أحلى هديلا من مطربات الأغانى

قلت يا طير : ان قلبى وجيع فغننى واشف قلبى
أنا فى هذا القفار مضيع فكن عزائى وطبى

فدنا عند ذاك منى وغنى والسحر فى نغماته
وأتى فوق راحتى مطمئنا يفتر عن بسماته

وغدا طائرى أنيس حياتى فى وحشة الصحراء
وألفت البقاء وسط فلاتى حتى نسيت شقائى

فكأن الرمال أضحت غياضا تجرى بها الانهار
وكأن الصخور صارت رياضا تزينها الأزهار

غيرانى . أواه ! أبصرت يوما طيرى على غير عهدى
فتوددت فى خشوع فأوما على عبوس وصد

وتوسلت ضارعا بودادى وما تضمن قلبى
وجرى الدمع من دماء فؤادى ولست أعرف ذنبى

ثم ناديت حسب نفسي شقاء وماترى من بكائي
انني لا أعيش الا رجاء فلا تضيع رجائي

فلوى رأسه الجميل مجيبا في قسوة وجفاء
قال : ما تبتغي ؟ كفانا نحيبا أف لهذا البكاء !

أنا طير ولي جناح فدعني أطير نحو السماء
والتمس صاحبا شبيهك ، اني سئمت طول البقاء

قال هذا وطار عني يغني بين ثنايا السحاب
تاركا مهجتي لنيران حزني تلقى صنوف العذاب

م . ف

علالة المجنون

« قطعة تمثل مجنون ليلى في احدى خلواته ، وهو يرفع الى عشيقته عفوه عن الحب ويشرح ماله من يد وفضل على المحبين ، وهو الذى ذهب بعقله وأورده موارد التلف ، ويسر في أذن الليل صبابته واخلاصه لفاتنة قلبه ومالكة لبه»
(الناظم)

عفا الله يا ليلاى عن ذلك الحب
وجدد ما قاسيت في البعد والقرب
ولا زادني إلا عذابا ومحنة
أقاسيها حتى أغيب في الترب
صبرت على عيشي زمانا والهوى
جراح ولم يجرؤ لساني على العتب
وغالب غيرى حبه متبرما
وغالبته نشوان مختبل اللب
ولولا الهوى لم يعمر البيد خاطرى
ولا طار في أجواء مأنوسة قلبي
ولولا الهوى لم يحل من وجنة جني
ولا شرع الهيمان في السلسل العذب
ولولا الهوى لم يسفح البين أدمعا
تسيل على الخدين كاللؤلؤ الرطب
ولم تسلك الالحاظ في النفس مسلكا
كما خامر الرعديد طيف من الرعب
ولولاه أصبحت الشقي بوحدتي
وان ضافني قومي وعللني صحبي
به أبصرت عيني ولم أك مبصراً
وهبت رياحي وانجلت غمرة الكرب
وزفت لى الدنيا كفردوس آدم
وطالعني الريحان في المهمه الصعب

* * *

اليك أبث الحب يا ليل فاستمع
لأنت إذا نامت عيون الورى حسبي
عشقت ومات بالفؤاد صبابة
ومن حسنات الكون ياليل ما يصبي
يقولون ما أغناك عمن تحبه !
إذا هو أصلاني الغرام فما ذنبي ؟
ولولا شعاع بين عينيه راعني
وشرد عقلي ما اهتديت الى الحب
كذبت هوى ليلاى إن لم أمت به
وأقضي على تذكار قاتلتي نحبي
أأجزيه من دمعي ؟ لقد نفد البكى
فهات لأجفاني دموعا من السحب
أأكتمه والسقم واش ، وحيرتي
ولبلي ، وأنفاسي تحدث عن صب ؟
حنانك يا ليلى ألم تحملي الهوى ؟
ألم تعلمي يا منية النفس ما خطبي ؟

(سوريه) حمص « رفيق فاخورى »

ليلة !

ليلة الأنس تقضت في شراب ومجون
لم يشاهدها الندامى في مقاصير الأمين
طلع الفجر وكنا من هوانا ثملين
ضمني صدر وفي كله عطف ولين
وفم يعبق طيباً كعبيق المورلين (١)
لذة العمر لديها كل شيء قد يهون
لا ترم مني شرحا أنا للسر أمين

كرمة ابن هانيء حسين شوقي

(١) نوع من الشمبانيا

من الادب التركي

الزامر الاعمى

للدكتور عبد الوهاب عزام

جلست إلى دواوين الشعر التركي أقلب الأجيال بين يدي: أطالع مرةوجه « نجاتي » و «ذاتي» وأنظر أخرى الى « باقي» و « نفعي » وثالثةأرى « نديما » « وراغب باشا » و «الشيخ غالب » ثم أعمد الى العصور الاخيرة فاذا اسناسي و « نامق كمال » و « ضيا باشا » و « توفيق فكرت » و « عبد الحق حامد » وغير هؤلاء.

وبينا أطوى العصور باللمحات ، وأقلب الاجيال تقليب الصفحات ، بصرت « بالصفحات » ديوان الشاعر الكبير صديقي الكريم محمد بك عاكف . فسارعت الى الجزء الاول فانفتح عن قطعةعنوانها « الزامر الاعمى » فقرأتها ثم عمدت الى القلم فترجمتها نثراً إذضاق الوقت دون نظمها وأنا أقدمها للقراء كما جاءت عفو البديهة في الاختيار والترجمة:

الزامر الأعمى

كنت أرى هذا السائل الضرير ، يتأبط ذراع قائده ، وفي يده قصبة عتيقة ، ينبعث منها صوت قوي ، كأنه النواح في المأتم . ويمر به الناس فيقفون ويستمعون رحمة به ورثاء له . ثم يلقي كل منهم الى كشكوله البائس الذليل خمس بارات أوعشراً .

كان يبعث أناته في قصبته المرضوضة فينبعث الى أذنه في رنين العشرات والخمسات صدى البشرى ، ورسالة المودة ، رنات لاتفنى في أنين الناي ، الحزين ولكنها تؤلف نغمة أخرى تسايره . كم أحزنني هذا الصوت ! وكم أمضني ذلك المرأى الأليم !

انه من دهره في ليال متتابعة مديدة ، لايتنفس في آفاقها المظلمة صبح ، ولا يلوح في وجهه لمحة من النور ، تحدث عن بسمات الرجاء والامل . كلا . ان هذا الوجه الاغبر ، هذا الوجه التعس قد أقتمت فوقه سحب متراكمة من الشقاء : ماضيه ظلام ، وظلام مستقبله . سله عن الحياة فهي حقيقة مظلمة مديدة . تراها نظراته حجابا من الظلمات دون حجاب . انه لايبصر المصائب ، ولكن كل شيء حوله مصيبة ، يمتد به العمر الشقي في هذا العالم البائس ، ويتحسس ظلامه الذي ماينتهي فلايظفر بطريق تخرجه الى صبح الأمل المسفر .

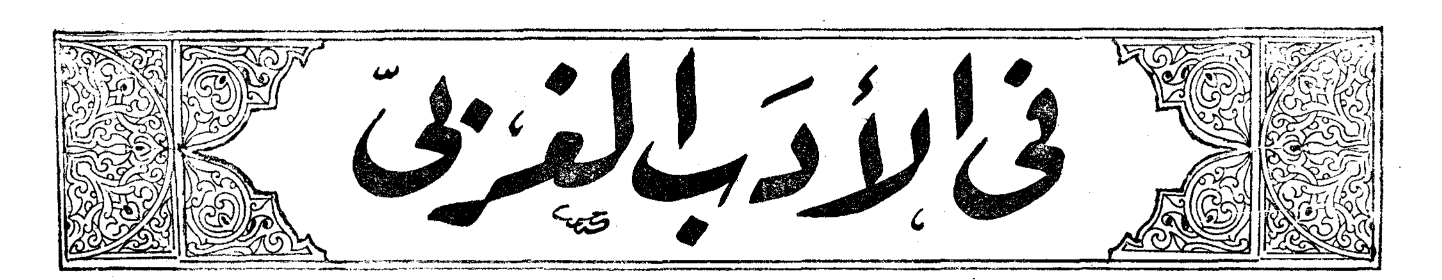
وعلى كتفيه مزق من عباءة بالية قد اتخذها مجنا في عراك الايام ، ولكن يد الريح العابثة تنازعه هذا الستر كلما هبت ، فتكشف عن كتفيه ، وتلقى بصدره أمواج المطر والبرد .

***

بينما أخرج السوق بصرت بسائل يبعث أنينا حزينا ، وهو متكيء على أحجار تغشاها أوحال . وتحته حصير أبلاه مر الأيام ولايظله الاطنف «سبيل» هناك . ولكن صوت الناس لاينطلق الآن بعيداً ، وانما سمعت عن كثب صدى كنسيس المحتضر .

ليت شعري أكان يزمر لنفسه أم كان يئن ؟ لا أحد يسمع له ! ولا أحد يقف عنده ! ولكن المارة يلقون اليه بنظراتهم ثم تمضي بهم السبل . ومن ذا الذي يصيخ الى صدى تلفظه المقابر ؟ أيها المسكين ! وطن على الموت نفسك ! واقطع أنات الشكوى . لا لا . أصخ ! قد سمع في الكشكول رنينا مديدا ! يالها نغمة من الرجاء مطربة ! يالها بشرى إستمع لها القلب والأذن معاً .

الماء يخترق الطنف ، فينسكب المطر من ثقوبه فيضرب الكشكول البائس ! سمع الأعمى الصوت فحسبه نبض الرحمة قد جاشت به قلوب المارة . فمديده ، مدها الى الكشكول ، ولكن هيهات ! قد خاب رجاؤه ، وكذب ظنه ، ارتدت يده المتجمدة من البرد ! ارتدت اليه فارغة مبتلة !



عنزة المسيو سيغان

La Chevre de M. Seguin

لا لفونس دوديه

إلى الشاعر الملهم بيير غرينفوار — بباريس

ستظل طول حياتك على حالك التى عهدتها ياصديقى البائس!

كيف تعرض عليك وظيفة مخبر لاحدى كبريات الجرائد فى باريس ثم ترفض! تأمل فى حالك ايها المسكين! أنظر إلى ثوبك الممزق وإلى حذائك البالى، وإلى وجهك الضعيف الشاحب، أذلك ما أجداه عليك غرامك بالشعر. وهذا جزاء خدماتك الجلى «لأبولو» مدة عشر سنوات... ألا تخجل من نفسك بعد هذه النتيجة؟

إقبل هذه الوظيفة أيها الغبى! اعمل مخبرا! ستكسب الدنانير الجميلة فتستطيع بها أن تأكل فى المطعم أكلا شهياً وأن تلبس فى أول الشهر معطفاً جديداً...

ألا تريد أن تقبل؟ أترفضها إذن؟ تريد أن تبقى حراً إلى الأبد... اصغ إذاً إلى قصة عنزة المسيو سيغان لتعلم مايجنيه المرء من الاخلاد إلى حياة الحرية!

* * *

لم يلاق المسيو سيغان حظاً فى اقتنائه المعز. فقد خسر أعنزه كلها بطريقة واحدة: كانت تقطع حبلها فى الصباح لتهرب إلى الجبل حيث يفترسها الذئب. فلا وداعة سيغان ورفقه، ولا اسم الذئب وبطشه، كانت تثنيها عن خطتها. فكانت، على ما يظهر، معزى مستقلة بنفسها، لا ترضى بغير الهواء الطلق مربطا ولا بغير الحرية مرتعاً.

ولكن سيغان لم يكن يفهم طبعها ولا يعرف شيئاً من خلقها ليخفف قليلا من حدته وذعره. فكان يقول:

— انتهى الأمر! اننى لن أقتنى بعد اليوم عنزة واحدة لأنها تمل عشرتى.

ولكنه على رغم ذلك لم ييأس اليأس كله. فبعد ان خسر ست عنزات بالطريقة المعلومة اشترى السابعة. ولكنه فى هذه المرة عنى باختيارها صغيرة ليأمن بقاءها عنده

آه! يا صديقى غرينفوار ما كان أجمل عنزة سيغان هذه المرة! عينان ناعستان ولحية صغيرة كلحية الضابط، وحافر أسود لماع، وقرنان مفوفان، وصوف طويل أبيض يتدلى على جسمها! إنها أحلي وألطف من جدى اسميرالدا الذى رأيناه يطوف به الشوارع بالأمس، أتذكره ياصديقى؟ انها كانت هادئة، وديعة، سهلة الانقياد...

وكان سيغان يربط ماعزه فى حظيرة محاطة بالعليق خلف منزله. فربط فيها العنزة الجديدة، وأطال لها الحبل لترعى ما جاورها من الاعشاب النضرة، وأخذ يطل عليها من وقت إلى آخر ليتعرف حالها. ولشد ما كان سروره عظيما عندما رآها سعيدة، منكبة على مرعاها الخصيب. تأكل منه مالذ لها وطاب. فقال سيغان فى نفسه:

— الحمد لله! لقد وفقت أخيراً الى عنزة لا تمل عشرتى.

ولكن السيد سيغان كان مخطئاً، فان العنزة أدركها السأم والملال!

***

نظرت عنزة صاحبنا إلى الجبل ذات يوم، فقالت فى نفسها:

— لا شك أن الحياة هنيئة حلوة فى هذا الجبل ما أسعدنى عندما أمرح بين أعشابه من غير هذا الحبل اللعين الذى يحز رقبتى!... لا بأس إذا رعى الحمير أو البقر فى مثل هذا المكان الضيق!... أما نحن معشر المعزى فلنا الخلاء الفسيح.

ومنذ ذلك الحين أصبحت لا ترى لعشب الحظيرة طعماً. وأخذ الملل يستولى عليها. فهزلت، وشح حليبها، وأصبحت لا ترى طيلة النهار إلا ممددة على الأرض، شاخصة إلى الجبل وهي تثغي بصوتها المحزن

ولاحظ المسيو سيغان ان العنزة أصابها شيء، ولكنه لم

يعلم ماهو . . . . ففى ذات صباح بينما كان يحلبها التفتت اليه وخاطبته بلهجتها القومية :

— اصغ الى يامسيو سيغان ، انى أكاد أموت هنا ، فدعنى أذهب الى الجبل .

فصاح مسيو سيغان فزعاً :

— آه ! ربى ! . .

وترك الوعاء من يده ، ثم جلس الى جنبها على العشب وقال :

— عجباً ! وأنت أيضاً تريدين مفارقتى يابلانكيت؟ فأجابته :

— نعم يامسيو سيغان .

— أتنقصك الأعشاب هنا ؟

— لا يامسيو سيغان .

— ربما كان رباطك قصيراً ، أتريدين أن أطيله لك ؟

— لا ، أرح نفسك من هذا العناء يامسيو سيغان .

— اذاً مابك ، ماذا تريدين ؟

— أريد أن أذهب إلى الجبل يامسيو سيغان .

— ولكن ، ألا تعلمين أيها المسكينة ان الذئب هناك ... وماذا تصنعين عند مايهاجمك ؟ . .

— أضربه بقرنى يامسيو سيغان .

— ولكن الذئب لايبالى بهما . فقد أكل لى معزى كان قرناها أطول من قرنيك . انك تعرفين رينود التى كانت عندى فى العام الماضى ؟ فقد كانت قوية نشيطة ؟ ظلت الليل على طوله فى عراك مستمر مع الذئب... وفى الصباح تغلب عليها وأكلها .

— مسكينة ! مسكينة ! . . . ولكن لا بأس ، دعنى اذهب الى الجبل يامسيو سيغان .

— سبحانك ربى ! . . . هذه أيضاً واحدة ستكون للذئب طعاماً . . . لا ، لا . . . سأمنعك رغماً عنك ! وسأقفل عليك باب الحظيرة حتى اذا قطعت الحبل لاتجدين لك مهربا .

حينئذ قاد المسيو سيغان عنزته الى حجرة مظلمة فى الحظيرة وأغلق دونها الباب . ولكنه نسى أن يغلق النافذة ، فما كاد يخرج حتى وثبت العنزة اليها وفرت منها هاربة . . .

أظنك تقهقه ياصديقى غرينفوار وترى رأى الماعز . . . ولكن ستعلم بعد حين اذا كان ضحكك يدوم طويلا .

ولما وصلت العنزة البيضاء الى الجبل ، اغتبط بها وأكبر حسن طلعتها ، ذلك لأن أشجاره القديمة لم تر فيما مضى عنزة جميلة كهذه العنزة ، وانحنت الأغصان المورقة نحوها لتحظى بلمس ثوبها الفتان ، وتفتحت الازهار وارسلت فى الهواء كل ماتحمل من عبير وعطر احتفالا بملكة الجبل الجديدة .

تأمل ياصديقى غرينفوار ما كان أشد سرور بلانكيت ! لا حبل ، ولا وتد . . . ولا شيء يعوقها عن القفز والجرى ، والرعى كما تشتهي . . . هنا وجدت العشب كثيراً ناميا ! وفى هذا المكان أحست بطعمه ! . أى عشب لذيذ ، طرى ، مطرز الاطراف ، كثير الأنواع . انها لم تجد مثيلا له فى الحظيرة الضيقة . والازهار الجميلة على اختلاف ألوانها ! انها أخاذة ساحرة .

هنا احست بالشبع ، فأخذت تلهو وتمرح ، تروح وتغدو ، تثب فى الهواء وتجرى على الارض ، تقفز من فوق السيول فتبلل صوفها بالماء ، ثم تتمدد على صخرة فى الشمس لتجففه ، حتى أعادت للجبل سالف حياته ، وبعثت فيه نشوة الفرح والحبور ! وكان يخيل للناظر ان فى الجبل عشر عنزات للمسيو سيغان لا عنزة واحدة .

وبينما هى على قمة الجبل ممسكة بين اسنانها زهرة جميلة أبصرت فى الوادى منزل المسيو سيغان والحظيرة التى بقربه ، فقهقهت ضاحكة وقالت :

— ما أصغر هذا المسكن ! كيف صبرت على بقائى فيه ؟ ورأت نفسها على قمة عالية فحسبت انها أصبحت تملك الكون بأسره . . . .

والخلاصة ياصديقى ان يومها كان سعيدا جداً .

ومما هو جدير بالذكر أن بلانكيت التقت فى طريقها عند الظهر بقطيع من الوعل يقضم باسنانه أشجار الكرم . فأحبت أن تشاركه فى طعامه ففسحوا لها المجال بأدب . ويظهر أن هناك وعلا وقع من قلب العنزة موقعا حسنا ـ وأرجو أن تبقى هذا الكلام سراً بينى وبينك ـ فانصرفت وإياه فى الغاب مدة ساعة أوساعتين . فاذا أردت أن تقف على حقيقة ماجرى بينهما فاذهب وسل عيون الماء المتفجرة ، المنسابة بين الاعشاب المخضوضرة .

***

وفجأة برد الطقس ، وأخذ الليل يرخى سدوله على الجبل . فقالت العنزة :

— عجباً ! كيف يمضى النهار بسرعة ؟

وكان السهل قد اختفى عن ناظريها فى الظلام ، ولم تعد ترى من منزل المسيو سيغان إلا سقفه الاحمر وقليلا من الدخان المتصاعد منه . ولما اخذت تصغى الى صوت قطيع من الغنم

عائد الى حظيرته أحست فى أعماق نفسها بوخز الضمير فتألمت . ومر إذ ذاك طائر ليبيت فى وكره فكاد يلمسها بطرف جناحه . فى هذه اللحظة سمعت فى سفح الجبل صوتا يدعوها اليه — وكان ذلك صوت المسيو سيغان ينبعث من بوقه — فتذكرت الذئب وأخذت تفكر فيه بعد ان انساها فرح النهار وجوده .

ثم سمعت صوت الذئب يتجاوب صداه فى الارجاء، فوطدت العزم على النجاة من مخالبه باجابة المسيو سيغان . ولكنها تذكرت الحبل والوتد فشق عليها ان تعود الى سالف حياتها وفضلت البقاء .

وفى هذه الاثناء انقطع صوت البوق ...

وسمعت العنزة خلفها حفيف الاوراق ، فالتفتت لتنظر فرأت اذنين صغيرتين ترتفعان وعينين تقذفان بالشرر .. فعرفت انه الذئب ...

***

ربض الذئب الكبير ينظر الى العنزة نظرة نهم، ويتأملها دون ان يعجل الى افتراسها. ولما همت بالمضى فى سبيلها أخذ يضحك ويسخر ، ثم مد لسانه الأحمر الغليظ .

هنا احست بلانكيت بخطر الموت . . وتذكرت حكاية العنزة رينود التى قاومت الذئب طيلة الليل عبثاً ، فالقت عصا الطاعة وصممت على أن تتلقى الذئب صاغرة ليأكلها سريعاً .

ولكنها فى اللحظة الاخيرة رجعت عن رأيها هذا ، ووقفت للدفاع عن نفسها ، فاحنت رأسها وأشهرت قرنيها ، لا لتقتل الذئب وهي تعرف ان المعزى لاتقدر عليه بل لتجرب إذا كانت اقوى باساً من رفيقتها رينود . . .

آه ! ياصديقى ما كان اشجع هذه العنزة الصغيرة ! انها اضطرت الذئب اكثر من عشر مرات الى إن يستريح فترة من الزمن كانت فى خلالها تقضم العشب بسرعة لتعود إلى القتال مملوءة الفم ...

وظلت الحال على هذا المنوال ، الصراع مستمر يقطعه تقهقر وقتى من الذئب ، والعنزة تنظر الى النجوم الرجراجة وهى تأمل دوام القتال حتى مطلع الفجر — الى ان اخذت النجوم تهوى واحدة بعد الاخرى.. وامتد فى الافق الشرقى شعاع باهت..وارسل الديك صيحته من احدى المزارع المجاورة . فقالت العنزة المسكينة التى انتظرت الفجر لتستسلم للذئب :

— ها قد وصلت الى بغيتى أخيراً !

ثم تمددت على الارض وصوفها الابيض مخضب بدمها . . .

عند ذلك هجم الذئب عليها واكلها .

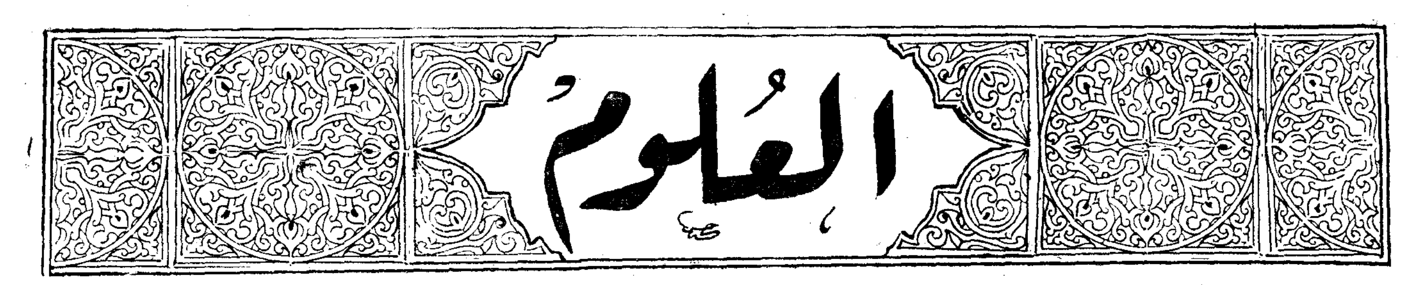
***

وداعا يا صديقى ! ان القصة التى رويتها لك واقعية لا أثر فيها للخيال . ويمكنك اذا جئت الى هذه الضاحية يوما أن تطلب من أحد أهليها أن يقص عليك حكاية عنزة المسيو سيغان التى قضت الليل بطيلته فى عراك مستمر مع الذئب . . . وفى الصباح تغلب عليها وافترسها .

أسامع أنت ياغرينغوار!

... وفى الصباح تغلب عليها وافترسها .

بيروت محمد كزما



حديث قملة عجوز

للدكتور احمد زكى

الاستاذ بكلية العلوم

لا يلذلكم معشر البشر أن نتحدث اليكم نحن معشر القمل ، لاننا فى أعينكم شارة الاقذار وظل الأوساخ ، وتلك قذيفة لا تقوم على حجة ولا يدعمها برهان ، فنحن لا نتغذى الا من دمائكم ، ولا نرتوى الا من ثغور نثقبها فى جلودكم ، وسواء لدينا الجسم القذر والجسم النظيف ، وربما كان الجسم النظيف أحب الينا ، لأن مثاقب القوت تكون عندئذ أقرب إلينا ولكن صاحب الجسم النظيف لا يعطينا المهلة للحياة فهو يغير ملابسه المرة تعقبها المرة ، فيحول بذلك بيننا وبين موارد أرزاقنا فنموت جوعا فى يومين وقد نحيى إلى سبع ، لأننا فى طيات هذه الملابس نتخذ منازلنا ولا نخرج عنها إلى الجسم إلا طلباً للقوت ، فإذا أصبناه عكفنا راجعين اليها .

وقلتم أن القمل سبب لأمراض قاتلة كالتيفوس ، والحق أننا لا نخلق المرض ولا نبتدع الشر فأصول هذه الأوبئة فيكم وعنكم نأخذها فى الدم الذى نستقيه منكم ، وبالرغم من حبنا لمساقط رؤوسنا وألفتنا للجسم الذى نشأنا عليه وترعرعنا ، تضل منا أحياناً أفراد فتنتقل غير واعية من رجل مريض إلى رجل سليم لا سيما فى الزحمة حيث تتلاقى المناكب وتتلاصق الثياب ، فاذا هى وردت منهله العذب لوثته بما حملت من المنهل الأكدر ، فترون من هذا أننا لا نخلق السوء وإنما نسوى بينكم فى الاسواء

وأسميتمونا المتطفلة لاننا لا نستطيع هضم كل طعام كما تستطيعون ، وليس لنا جهاز هاضم راق كالذى به تهضمون ، فأنتم تهضمون لنا الغذاء ، فنمتصه منكم مهضوما فى الدماء ، وليت شعرى أى سبة فى هذا أوعار أفلستم تتطفلون على الشاة والبقر وصنوف الطير والنبات الحى فتزدردونها كلها ازدراد ، أفترون الشعرة فى أعين الناس ولا ترون الخشبة فى عيونكم ، على أنه مقدار حقير ذلك الذى نمتصه فى الوجبة الواحدة واسنا نطعم غير وجبتين فى اليوم ، ولنا فى الطعام ذوق الأعزة الكرام ، فنحن نعاف دم المريض ونتقزز من أجسام الموتى فنفارقها مع الحياة .

واحتقرتمونا لصغر أجسامنا وكبر أجسامكم فان فاتنا الجرم الكبير فقد أصبنا العدد الكثير ، فالانثى منا لا تبلغ اليوم الثامن بعد افراخها حتى تلد ثم تلد ثم تلد ، وهى لا تلد واحدا أو اثنين فى العام كما تلدون وإنما تبيض فى المرعى الخصيب عشرا كل يوم ، فان عاشت الأنثى أربعة أسابيع فقد تبيض مائتين من الصئبان (١) ، وان امتد بها العمر الى أرذله فعاشت ستة أسابيع فقد تبيض ثلاثمائة بيضة ، والبيضة من بيضاتها تلبث السبعة الايام أو الثمانية ثم تفرخ ، فانظر الى العدد الكبير من الخلف الصالح الذى تخلفه الانثى منا قبل مفارقتها هذه الحياة الفانية . أنا بالطبع انثى شيخة أكاد استكمل الثلاثين ربيعا ، وماربائعنا الا أياما ، نسلت من الابناء والاحفاد مانسلت ، ولكنى انسل ولا أتعهد نسلى ، وكل ما أفعله ان أتخير لهم الموضع الامين ، فأنا أبيضهم على كل شعار خشن ألقاه ، وأبيضهم على فتائل الملابس ولاسيما حيث يخاط اللفاق باللفاق ، ليكون لهم معتمد عليها وفى دروءها ستر من عصف الزمان وأبيضهم على الاشعرة دون الادثرة حتى اذا أفرخوا كانوا من طعامهم قاب خطوات من خطواتنا ، ومن الدفء اللازم لافراخهم على بعد قامة من قاماتنا ، فنحن مثلكم حاجتنا للدفء لا تقل عن حاجتنا للطعام ، وأوفق الحرارة التى نبيض فيها هى مادون حرارتكم بدرجتين ، والدرجات التى تعلو على الستين تهلك بيضنا ، والدرجات الواطئة تعطل افراخه ، فاذا هبطت الى مادون أل ٢٢ درجة امتنع افراخه بتاتا .

وسواء ارتفعت الحرارة أو انخفضت فبيضنا لا صبر له على البعد عن أجسامكم طويلا ، فان رمى به الحظ العاثر الى ملابس

(١) هى المسماة بالعامية «سبان» وهو بيض القمل

خلعتموها فانه يصابر شهرا وبعض شهر رجاء أن تعودوا فتلبسوها ويعود هو الى أفراخه ، فان لم تفعلوا فالويل لذرارينا فانهم يهلكون يا كبدى ولم ينعموا بخطوة واحدة على جلدكم الوطىء ولم يستمتعوا بقطرة من شرابكم المرىء

وللفرد منكم معشر البشر عمر طويل موفور ، وللفرد منا معشر القمل عمر قصير منقوص ، الا أن حظنا من الزمن مجموعين مثل حظكم ونصيبنا من قديمه وحديثه مثل نصيبكم ، نطاولكم فى القدم ونكاثركم فيما طويناه جميعا من مراحل الازل ، فان كانت نطفتكم قديمة فلعل بيضنا أقدم ، وسنسايركم ان شاء الله على حذاء فى مجاهل الابد ، فما دام فيكم الجهل والفقر بقدر كائنا ما كان فرفقتنا لن تنفصم عراها باذن الله ، فالجهل والفقر لابد دائما فيكم دوام الانانية والفردية بعون ربنا وربكم تقدست أسماؤه

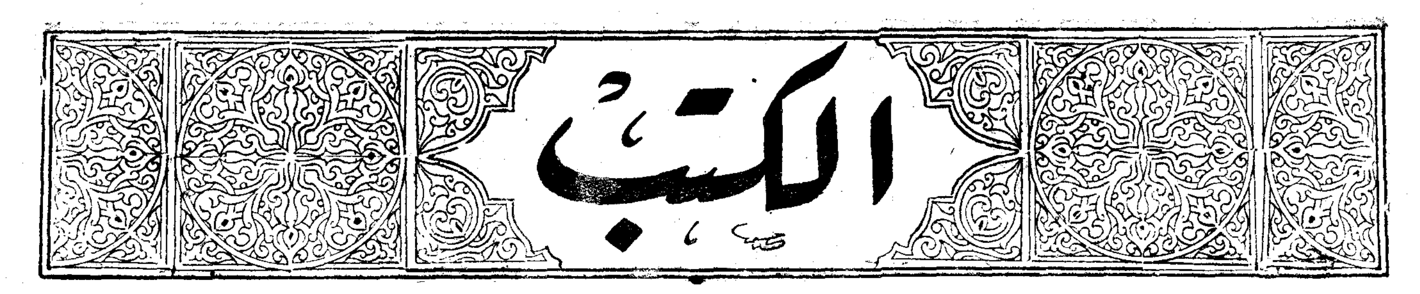
نعم ربنا وربكم ، فان لنا مكانا فى الخليقة مثل مكانكم ، فما الخليقة إلا قبائل وبطون وافخاذ جمعها أصل واحد ، وفرقت بينها اجواء مختلفة وبيئات متباينة وحظوظ من العيش متفاوتة ، فنحن وكثير من احياء البحار كالاربيان Lobster وأبى جلنبو والجنبرى قبيل واحد ، ولكنهم اختاروا الماء واخترنا الأرض فكان منا النحل والصرصور والجراد والبق وعدد عديد من الاجناس يبلغ المليونين لم يتعرف علماؤكم منه غير مائتين وخمسين ألف . فقبيلنا نحن ابناء الحشر فى قبائل الاحياء اكبر قبيل ، وانقسمنا بعد ذلك بطونا ، وانقسمت البطون أفخاذا حتى بلغ التقسيم الينا نحن عشائر القمل ، ومنا عشائر تعيش على الطير تقرض ريشه ، ومنا عشائر تعيش على الحيوان كالكلب والانسان تمتص دمه ، وتستوطن اجسامكم يا سادة الحيوان ثلاثة أجناس منا ، جنس يستمرىء جذوعكم واطرافكم ، وهو اكبر الأجناس وأنا المتحدثة اليكم منه ، وجنس يحب المسكن الاعلى والمرقب الاسنى فاختار رؤوسكم ، وجنس استأثر بمواضع العفة منكم . نحن الثلاثة الاجناس نعيش فى كنفكم ووفير كرمكم ، نستجدى اجسامكم وهى لاتعرف المنع ، ونستحلب دماءكم وعادتها العطاء ، فتشكل خلقنا وفقا لهذا العيش اللين والنعمة الميسورة ، ففقدنا أجنحتنا لما فقدنا الحاجة الى التنقل ، واشتدت ارجلنا وقصرت لتمسك بشعوركم وتلصق اشد التصاق بجلودكم وبفتائل ثيابكم ومن ذا الذى لا يستمسك بالمرعى الخصيب والرزق القريب ، واستحالت افواهنا فصارت قادرة على الثقب والمص ، ولنا قناة هضمية ودورة دموية وجهاز للتنفس وجهاز عصبى ، كلها بقدر بساطة حاجاتنا ، ولنا عينان كبيرتان فى مقدم رأسنا ، والى جانبيهما قرنان نستهدى بهما ، ويلى الرأس صدر يحمل من الارجل ثلاثة ازواج باطرافها مخالب كالابر إلا انها تعرف كيف تترفق فى السير عليكم ، ويلى الصدر منا بطن كبير هو كل ما بقى منا . وعلى هذا المثال يتقسم الحشر جميعه ، وتتراءى بظاهرنا تقاطيع حلقية كانما ضم خاتم الى خاتم الى خاتم ، ولا غرابة فى هذا فبين قبيلنا وقبيل الديدان وشائج وأرحام .

وتفننتم يا اهل المروءة والحنان فى طرق ابادتنا . كنتم تبيدوننا بالماء الساخن والصابون ففطنتم الى ان كثيرا منا يفلتون بأرواحهم والى انكم ان أعدمتم بذلك البالغين منا فقد فاتكم ان تعدموا الصئبان ، فخلطتم الصابون بالجاز وبئس ما فعلتم ، فالجاز من اسم السموم لنا ، نموت نحن وبيضنا اذا غمسنا دقيقة فيها ولا نستطيع مقاومة بخاره غير ثلاثين دقيقة . وهذا كم سوء طالعنا الى مواد اسم وافعل من الجاز نموت على الفور نحن وبيضنا ان تبللنا بها ونعدم بعد ٥ دقائق فى استنشاق أبخرتها ، ولكن يعزينا أنها ليست فى متناول كل أحد منكم لندرتها ، ولغلائها ٭

على أنه لاملامة عليكم ولا تثريب فى ذلك ، فكلنا يطلب العيش والحياة ، فأنتم تسعون للبقاء ونحن نسعى للبقاء ، والحرب بيننا سجال ، والحرب بين أجناس الخلائق سجال كذلك ، جنس يقاتل جنسا ثانيا فيقتل منه ، وجنس ثان يقاتل جنساً ثالثاً فيقتل منه ، وجنس ثالث يقاتل الجنس الأول فيقتل منه ، فهى حروب فى دوائر ، وكل ما دار فى دائرة فلا انتهاء له ولا انقضاء ، وسبحان راسم الدوائر ذى الخلود والبقاء

٭ من المستحضرات كثيرة النفع التى استخدمت فى جيوش الحرب الكبرى مستحضر يصنع بتسخين ثلاثة أرطال من الصابون السهل الارغاء بربع لتر من الماء وبعد ازاحته من على النار يخلط بخمسة أرطال ونصف من الجاز ثم يضاف الى الحاصل ٢ ونصف فى المائة من وزنه من الكريسول وعندئذ يستحم به كالصابون . اما المواد شديدة الفعل المشار اليها فمركبات كلورية من مشتقات عضوية كالميثان والايثان وتستخدم مراهم .

قملة الجسم قملة الراس قملة العانه



في النقـــــــد

للدكتور طه حسين

سلمى وقريتها : كتبته باللغة الفرنسية « مدام أمي خير »

أهل الكهف : كتبه باللغة العربية « توفيق الحكيم »

ليختصم أنصار الجديد وأنصار القديم ، ماوسعتهم الخصومة وما وجدوا من أنفسهم قوة على احتمال أثقالها ، والمضى فيما تحتاج اليه من الجهاد . فان الزمن يمضى فى سبيله رغم خصامهم وصلحهم . وهو لا يمضى وحده ولكنه يدفع أمامه قوما منا ، ويجر وراءه قوما آخرين . وهو منته بأولئك وهؤلاء الى حيث يريد هو من التغير والتطور والتجديد ، لا الى حيث يريدون هم من الوقوف والجمود والاسراف فى المحافظة على القديم كل القديم . .

ولقد خطر لى هذا بعد أن فرغت من قراءة ما ينشره أصدقاؤنا فى (الرسالة) حول التجديد وأنصاره ، وحول المحافظة وأصحابها . وقد فرغت أيضاً من قراءة طائفة من هذه الكتب الكثيرة التى أظهرتها الشهور الاخيرة ، والتى تجتمع أمامى وتزداد من يوم الى يوم ، وتلح على فى أن أفرغ لها وأجلس اليها وأنظر فيها ، فأنصرف بها عما يحيط بى من ظروف الحياة التى أعمل فيها كل يوم .

نعم فكرت فى هذا ، وقد فرغت من قراءة بعض هذه الكتب ، فاذا نحن نختصم فى الجديد والقديم ، ونسرف فى الخصومة ، ونغلو فى التفسير والتأويل ، على حين يدفعنا الزمان فى طريق التجديد دفعا لا سبيل الى مقاومته ، أو يجرنا فى هذه السبيل جراً لا سبيل الى الافلات من قوته . ولكنى وقفت عند ظاهرة لعلها تستحق أن يقف عندها النقاد والمفكرون ، وهى هذا الشكل العقلى الفنى الذى تأخذه الصلة بين الشرق والغرب فى هذه الايام ، فقد كنا منذ حين نتأثر بالغرب ونسعى اليه ونقتبس منه ونريد أن ننقله الينا ان صح هذا التعبير . وكان هذا السعي يفنى شخصيتنا أو يكاد يفنيها ، فاذا نحن غربيون فى تفكيرنا وتعبيرنا وحياة عقولنا وقلوبنا . وإذا حظوظنا تختلف من هذه الغربية قوة وضعفا . منا من يحسن التقليد ، ومنا من يسيئه . وكان ضعف شخصيتنا هذا يبغضنا الى المحافظين من أهل الشرق ويزهدهم فينا . وكان يثير فى نفوس المجددين من أهل الغرب حبا لنا يشوبه العطف والاشفاق ، وكنا نضيق ببغض أولئك وحب هؤلاء ، ونتمنى لو نقف من أولئك وهؤلاء موقفا طبيعيا لا حرج فيه ولا تكلف ولا ضيق .

كذلك كانت حال كتابنا وشعرائنا فى هذا العصر الحديث حين كانوا يريدون التجديد أو يذهبون اليه . ولكن الامر تغير فى هذه الايام فقويت شخصية الكتاب والشعراء حتى آمنت بنفسها وآمن بها الناس من حولها فى الشرق والغرب جميعا ، وأصبح كتابنا وشعراؤنا ينشئون النثر ويقرضون الشعر فلا يزور عنهم كثير من المثقفين حقا فى الشرق ، ولا يرفق بهم أهل الغرب ، وانما يحبهم أولئك فيقرأونهم ويخلصون لهم النصح والنقد والتشجيع ، ويقدرهم هؤلاء فيدرسونهم ويقيسون الآماد التى قطعوها فى سبيل التجديد والاتصال بالحضارة الغربية والتمكين لهذه الحضارة فى بلاد الشرق دون أن تفنى شخصياتهم أو يصيبها الضعف والفتور .

وأغرب من هذا الذى تراه حين تقرأ ما يكتبه (جيب) و (كمفمير) وغيرهما عن كتابنا وشعرائنا ، انك تلاحظ فى هذه الايام ، ان من أهل الشرق من يتمثلون الغرب حتى كأنهم من أهله فيتحدثون اليه بلغته ويفكرون كما يفكر ، ويشعرون

كما يشعر ، ويشاركونه بهذا فى انتاجه الأدبى الخالص ، ويصدرون كتبهم حيث يصدر الغرب نفسه كتبه فى لندرة أو باريس . وإذا هذه الكتب تصل الينا من عواصم الغرب فنتلقاها كما كنا نتلقى الكتب الغربية من قبل ، ونتناولها صحفنا بما تتناول به كتب الغرب من نقد وتقريظ ، ونرى بعض أهل الشرق يتمثلون الغرب ويسيغونه ويهضمونه ان صح هذا التعبير ، ويذيبونه فى أنفسهم ، ويغلبون شخصيتهم عليه ويغذون قوميتهم به . ثم يتحدثون الينا بلغتنا مهذبة ، ويفكرون معنا بطرائق تفكيرنا مصفاة ، قد أضيفت الى ثروتها ثروة أخرى فأخصبت وآتت ثمراً نحبه ونستعذبه ونستزيد منه فنلح فى الاستزادة .

وكذلك يتصل الشرق بالغرب اتصالا عقليا وفنيا بعد أن كان الاتصال بينهما ماديا تقليديا ، وكذلك نتقدم فى التجديد خطوات واسعة قيمة مغنية حقا ، فنضيف الى ثروة الغرب كما يضيف الغرب الى ثروتنا .

وأنا أريد أن أتحدث اليك الآن عن كتابين يمثلان هذه الحال التى وصفتها من الاتصال المتكافىء الكريم بين الشرق والغرب . فأما أحد هذين الكتابين فقصة كتبت بالفرنسية . وأما الآخر فقصة كتبت بالعربية ، أول الكتابين قصص خالص ، والآخر قصص تمثيلي ؛ أول الكتابين لسيدة لبنانية هى السيدة أمى خير ، والثانى لكاتب مصرى هو الاستاذ توفيق الحكيم .

أما كتاب مدام خير فهو : (سلمى وقريتها) ، سمعنا عنه منذ اكثر من عام وتحدثت الينا صاحبته ، بخلاصته وقرأت علينا بعض فصوله فى محاضرة ألقتها مدام خير منذ عام فى قاعة من قاعات الكونتننتال حيث يجتمع أصدقاء الثقافة الفرنسية فى يوم الجمعة من كل أسبوع أثناء الشتاء . وكنا قد أحببنا ما سمعنا من هذا الكتاب ومن الحديث عنه ، ومنينا أنفسنا ساعات لذيذة نقضيها معه بعد أن يتم طبعه ويعود الينا من باريس فى ثوبه الفرنسى الجديد . ولكنى شديد الاحتياط، أسيء الظن بنفسى ورأيى ولا أطمئن الى هذه الاحكام العجلى ، ولست أخفى انى أسأت الظن بما احسست من رضى عن هذا الكتاب فى العام الماضى ، وأشفقت ان يكون مصدر هذا الرضى براعة مدام خير فى المحاضرة وحظها من حسن الالقاء ، وقدرت ان الخير ان انتظر حتى يصل الى الكتاب فأقرأه بعيداً من صاحبته ومن صوتها العذب وحديثها الجميل .

ووصل الى هذا الكتاب منذ اسابيع ، فخلوت اليه ساعات ولست اخفى انى رضيت عنه رضى كثيراً وأعجبت بفصول منه إعجابا عظيما ، ووقفت عند فصول أخرى وقفة من يشعر بشىء من الرضى لا اسراف فيه .

موضوع الكتاب ظاهر من عنوانه ، فهو قصة فتاة لبنانية وتصوير للقرية التى عاشت وماتت فيها . والمؤلفة تنبئنا بأن كتابها صورة فتوغرافية لسلمى وقريتها . وقد يكون هذا حقاً بل هو حق . وهو فى الوقت نفسه مصدر فضل الكتاب ومصدر شىء مما يلاحظ عليه . وكم كنت أود لو أن هذا الكتاب لم يكن صورة فتوغرافية، بل كان صورة فحسب،صورة من عمل الانسان لا من عمل الآلة الفتوغرافية ، صورة تظهر فيها شخصية الكاتبة ظهوراً واضحاً نأنس اليه ونستعين به على اساغة هذه الحقائق التى يشتمل عليها الكتاب . ولكن القصة كانت كما أرادت مدام خير صورة فتوغرافية ؛ فامتازت بالصدق وامتازت بالدقة ، وفقدت شيئاً كثيراً من الحياة والتأثير .

ليست القصة غريبة ولا طريفة ، وانما هى شىء مألوف نكاد نقرؤه فى كل كتاب — استغفر الله — نكاد نقرؤه فى كتب كثيرة ألفت فى القرن الماضى ، ونكاد نجده فى كل كتاب من كتب الأدب العربى حين يتحدث عن العشاق الذين يضنيهم الحب حتى يسلمهم إلى الموت . فقد أحبت سلمى فتحى من قرية مجاورة لقريتها فى شمال لبنان . مرض أبوها وقامت أمها على تمريضه وانفردت هى بالذهاب الى المزرعة فلقيت فيها هذا الفتى الغنى الموسر المثقف بعض الشىء . فمال الفتى اليها ومالت هى اليه ثم تحدثا ثم عرف كل منهما أمر صاحبه . ثم ملأ الحب قلب الفتاة وملك عليها نفسها ، ثم برىء الأب من مرضه وانقطع لقاء المحبين فكانا يختلسان ساعات يلتقيان فيها . ثم ظهر الأب على بعض الأمر . فضرب الفتاة وذهب يعاتب الفتى ويعرض عليه الزواج . فاعتذر وأرسله عمه الى مصر يلتمس فيها الثروة ويبدد فيها حبه على ضفاف النيل ، وأصاب الفتاة حزن عميق كان الأمل يخففه حيناً ويضاعفه أحيانا . ثم كان اليأس . وزوجت الفتاة من شاب كان يكلف بها . فحاولت أن تخلص له وجدت فى ذلك ولكنها لم تستطع أن تخلص من حبها القديم

فيضعف قلبها وجسمها عن الوفاء بحبها الأول والاخلاص لحب زوجها فيأخذها مرض . مايزال بها حتى ينقذها من هذه الحياة

فأنت ترى أن ليس فى القصة شيء غريب مبتكر ، ولكن جمال القصة مع ذلك شيء لا سبيل إلى الشك فيه ، ومصدره فيما يظهر هذا التصوير الفوتوغرافى الذى ينقل اليك قرية من قرى لبنان . وما فيها من حياة نحب سذاجتها ، ووداعتها ، وجمالها الطبيعى الذى لم يفسده التكلف ، ولم يشوهه الاغراق فى الحضارة . والذى يمتزج فيه الايمان الخالص الحر بالحياة الخالصة الحرة . نعم ونحب فى هذه الحياة التى يملؤها النشاط المنتج فى فصل العمل، وتملأها الراحة الهادئة فى فصل السكون، ولعلنا نحب أيضا هذا النوع من العشق الذى ينبعث من القلب الانسانى فى غير تكلف ولا ترف ولا تأثر بفلسفة العقل وتهالكه على البحث والتحليل والاستقصاء . ثم نحن نحب بعد هذا كله وفوق هذا كله هذه الصور الفوتوغرافية لطبيعة لبنان فى أشكالها المختلفة . لهذه الجبال الشاهقة يكسوها الجليد إذا كان الشتاء ، ويزينها الربيع بالشجر المخضر . ولهذه الوديان التى يجاهدها الانسان جهاداً عنيفاً ليستخرج منها القوت الذى يستعين به على الحياة ، وحب اللبنانيين القوى الصادق الساذج لطبيعتهم وجبالهم وأوديتهم ، حتى انهم ليفتتنون بها فتنة تجعلهم جميعاً شعراء .

والغريب من أمر هذه القصة انها ليست صادقة فى تصوير موضوعها وحده ، بل هى صادقة فى تصوير ناحية من نواحى الكاتبة نفسها، أريد بها ناحية المهارة الفنية، ففى أولها شيء من الضعف والبطء واستقصاء اللغة ، كأن الكاتبة تجاهد نفسها بعض الشيء، حتى اذا مضت فى القصة مرحلة أو مرحلتين أصبح قلمها طيعاً وألقت اليها اللغة الفرنسية أعنتها واستقاد لها الاسلوب الفرنسى فانطلقت حرة سمحة كأنها قد أتمت التمرين . لهذا كان آخر الكتاب خيراً من أوله . ولهذا كان من حقنا أن نثق بأن الكتاب الذى ستصدره مدام خير سيكون خيراً من الكتاب الذى أصدرته . واذا لم يكن بد من أن ألاحظ بعض العيب فقد آسف لأن شيئاً من التهاون فى اللغة لم يبرأ منه الكتاب فقد استعملت ألفاظ عامية مبتذلة لا ينبغى أن توجد فى كتاب أدبى إلا أن تدعو اليها النكتة . ولعل من أوضح الأمثلة لذلك ما يوجد فى صفحة ٧٢ و١٤٠ . وجملة القول أننا مدينون لمدام خير بساعات لذيذة قيمة قضيناها مع هذا الكتاب الممتع . ولكن املنا اكثر جدا من رضانا . فلنشكر لها جهدها الاول ولنهنئها به ، ولننتظر من جهودها المقبلة خيراً كثيراً .

* * *

أما قصة (أهل الكهف) فحادث ذو خطر ، لا اقول فى الادب العربى العصرى وحده . بل اقول فى الادب العربى كله . وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط . واقول هذا مغتبطا به مبتهجا له . وأى محب للأدب العربى لا يغتبط ولا يبتهج حين يستطيع ان يقول وهو واثق بما يقول ان فنا جديدا قد نشأ فيه وأضيف اليه، وان بابا جديدا قد فتح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه الى آماد بعيدة رفيعة ما كنا نقدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن :

نعم هذه القصة حادث ذو خطر يؤرخ فى الأدب العربى عصراً جديداً . ولست أزعم أنها قد حققت كل ما أريد للقصة التمثيلية فى أدبنا العربى، ولست أزعم أنها قد برئت من كل عيب، بل سيكون لى مع الاستاذ توفيق الحكيم حساب لعله لا يخلو من بعض العسر . ولكنى على ذلك لا أتردد فى أن أقول إنها أول قصة وضعت فى الأدب العربى ، ويمكن أن تسمى قصة تمثيلية حقاً ، ويمكن أن يقال إنها أغنت الادب العربى وأضافت اليه ثروة لم تكن له . ويمكن ان يقال إنها قد رفعت من شأن الادب العربى وأتاحت له أن يثبت للآداب الاجنبية الحديثة والقديمة . ويمكن أن يقال إن الذين يعنون بالادب العربى من الاجانب سيقرأونها فى اعجاب خالص لاعطف فيه ولا اشفاق ولا رحمة لطفولتنا الناشئة . بل يمكن أن يقال إن الذين يحبون الادب الخالص من نقاد أجانب يستطيعون أن يقرأوها ان ترجمت لهم ، فسيجدون فيها لذة قوية وسيجدون فيها متاعاً خصباً ، وسيثنون عليها ثناء عذبا كهذا الذى يخصون به القصص التمثيلية البارعة التى ينشئها كبار الكتاب الاوربيين .

أهذه القصة مصرية ؟ أهذه القصة أوروبية ؟ . . ليست مصرية خالصة ولا أوربية خالصة ، ولكنها مزاج معتدل من الروح المصرى العذب والروح الاوروبى القوى . وقد يكون من العسير على غير الفنيين أن يفرقوا بين هذين الروحين اللذين تأتلف منهما القصة .

ولكن الذين لهم مشاركة قوية فى الأدب العربى والاجنبى يستطيعون ان يتميزوا هذين الروحين حين يجدون فى القصة سهولة النفس وعذوبتها ، وحين يشعرون بهذا العبث الخفيف الذى يضطرهم إلى الوقوف من حين إلى حين وهم يقرأون ، وحين يجدون الفاظاً وجملا تصور النفس المصرية الآن كما صورتها فى أزمان مختلفة منذ كان للمصريين أدب عربى ، ثم حين يجدون هذا التفكير العميق الخصب ، الدقيق الذى يلح فى التعمق ويغلو فى الدقة ، ويأبى أن يترك حقيقة من الحقائق عرضة للشك أو هدفا للغموض ، إلا أن يكون الكاتب قد تعمد ذلك وأراده وأبى أن يرسل نفسه فيه على سجيتها مراعاة لبعض الظروف .

كل هذا يمكن النقاد من أن يتبينوا فى هذه القصة روحاً مصرياً ظريفاً وروحا أوربياً قوياً . ولنقف وقفة قصيرة عند موضوع القصة وشكلها .

فأما موضوع القصة فلم يخترعه الكاتب وانما استكشفه ، وفرق ظاهر بين الاختراع فى الادب والاستكشاف . ولعل الاستكشاف أن يكون أصعب فى كثير من الاحيان من الاختراع ، وهو فى قصتنا هذه صعب عسير . موضوع القصة موجود فى القرآن الكريم ، وهو قبل أن يوجد فى القرآن كان معروفاً فى القصص المسيحية التى لها حظ من التقديس . ويكفى أن تعلم أنه حديث أهل الكهف الذين أشفقوا من اضطهاد ملك رومى للمسيحيين ففروا بدينهم من هذا الملك الظالم وأووا إلى الكهف فناموا فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا . ثم بعثهم الله عز وجل فانكروا الناس وأنكرهم الناس فعادوا الى كهفهم وفيه قبضهم الله اليه

وأنت تعلم ان هذه القصة قد قصها الله فى القرآن فى آيات كريمة هي اعذب واسمى ما نعرف من آيات البيان العربى ، وانت تعلم ان من العسير ان تستغل مثل هذه القصة فى أدبنا العربى الذى لم يتعود فى العصر الحديث أن يستغل الكتب الدينية استغلالا فنيا كما تعود الاوربيون أن يلتمسوا فى الكتب المقدسة موضوعات للقصص والشعر والتمثيل والنحت والنقش والتصوير والموسيقى . فاذا استطاع الاستاذ توفيق الحكيم ان يلتمس موضوع قصته فى القرآن أوفى قصة فصلها القرآن وان ينشىء فى هذا الموضوع أثراً فنياً بديعاً كان خليقاً ان يهنأ بشجاعته وبراعته معا

فموضوع القصة اذن شرقى عرفته أحاديث المسيحيين وفصله القرآن الكريم . ولم يعرفه الاوربيون الا من هذه الطريق ، ومؤلفنا إذن كغيره من المؤلفين الاوربيين الذين يلتمسون الموضوعات لقصصهم التمثيلية أحيانا فى التوراة والانجيل . ولكن مؤلفنا كغيره أيضا من المؤلفين الاوربيين لم يحك حكاية ما عرفته احاديث المسيحيين وما جاء فى القرآن ، وانما بعث فى أهل الكهف حياة أخرى فيها قوة وفيها خصب وفيها فلسفة تمكنها من الاتصال بالحياة الانسانية العامة على اختلاف العصور والبيئات من انحاء غير الناحية التى عنى بها القرآن وعنيت بها الاحاديث المسيحية . وهو يدخل فى هذه الحياة عناصر جديدة لم تدخلها القصة القديمة أهمها عنصران : عنصر الفلسفة ، وعنصر الحب . فالفرق عظيم جداً بين هؤلاء الاشخاص كما يصورهم القرآن وكما تصورهم أحاديث المسيحية الشرقية فى سذاجة لاحد لها ووداعة لا حد لها وإيمان لا حد له ولا غبار عليه ، وبين هؤلاء الاشخاص كما يصورهم الاستاذ توفيق الحكيم وقد تعقدت حياتهم فتعقدت عقولهم أيضا . ففقد اثنان منهم هذه السذاجة ، المطلقة والوداعة المطلقة والايمان المطلق ولم يحتفظ بهذه الخصال منهم الا شخص واحد ، هو يمليخا الراعى ، وبهذا النحو من التصوير الجديد لهؤلاء الاشخاص استطاع الكاتب أن يجعلهم أبطال قصة تمثيلية حديثة . ولو قد احتفظ الكاتب لهم بخصالهم الأولى لما استطاع أن يتجاوز بهم ابطال قصص الأسرار التى كانت تمثل فى القرون الوسطى أمام الكنائس . فالكاتب مستكشف لقصته فى ظاهر الامر ولكنه مخترع لها فى الحقيقة قد خلق أشخاصها خلقا جديدا وأدار بينهم من الحوار الفلسفى مالم يكن يخطر لاحد منا على بال . وقد يكون من العسير أن تحقق الفلسفة التى أراد الكاتب أن ينتهى اليها ، ولكن هذا العسر نفسه مزية من مزايا الكاتب وفضيلة من فضائله . فهو ليس متعصبا ولا متأثراً بالهوى ، وهو لا يريد أن يفرض عليك رأيا بعينه أو مذهباً بعينه من مذاهب الفلسفة وانما يريد أن يثير فى نفسك التفكير فى طائفة من الآراء والمذاهب . وهو دقيق متواضع لا يحب أن يعلن رأيه فى صراحة مخافة ان يتابعه ضعاف الناس فى غير بحث ولا تفكير . فهو يكتفى اذاً بان ينبهك الى طائفة من المسائل يحسن أن تفكر فيها وأن تلتمس لها الحل لعلك تظفر به أو تنتهي اليه . ما الزمن ؟ ما البعث ؟

ما الصلة بين الانسان والزمن ؟ ما الصلة بين الحي والأحياء ؟ بأي الملكتين يستطيع الناس أن يحيوا وان ينتجوا في الحياة ؟ بهذه الملكة التي نسميها القلب والتي بها نحب ونبغض، أم بهذه الملكة التي يسميها العقل والتي بها نفكر ونحلل ونلائم بين الاشياء ؟

كل هذه المسائل خليقة أن تفكر فيها وان تقف عندها فتطيل الوقوف ، والكاتب يثيرها في نفسك ويصطنع لذلك فناً بديعاً نادرا فيه قوة مؤثرة وفيه رفق شديد . ليس هو معلما ولا أستاذاً ولكنه صديق يتحدث معك ويسايرك ويلفتك الى ماقد تمر به دون أن تقف عنده أو تنظر اليه . لا أعرف كاتبا عربياً كان حسن السيرة مع قرائه كالأستاذ توفيق الحكيم . فقد أكبرهم حقا وأرشدهم حقا. ونفعهم في غير ادلال ولا تيه ولا كبرياء .

والحب هذا الحب الذى أدخله الكاتب في هذه القصة في غير تكلف ولا عناء وفي غير مصادمة للشعور الديني ، والذى استطاع الكاتب أن يصوره صورتين قويتين تبلغ احداهما من القوة حدا لا نكاد نجده الا عند أشد الكتاب والشعراء الاوربيين عناية بالعشق وآماله ولذاته على اختلافها وتنوعها . وتبلغ احداهما الأخرى بالحب قوة صوفية طاهرة بريئة من كل شائبة لا نكاد نجدها الا عند كبار المتصوفة والقديسين .

اعترف انى معجب ببراعة الكاتب في غير تحفظ والى غير حد . والحياة الواقعة التي يحياها هؤلاء الناس العاديون الذين لا يتفكرون في أكثر من أعمالهم اليومية والذين لا يذوقون الفلسفة ولا يحسنون تصورها والحديث فيها كيف صورها الكاتب فأتقن تصويرها في شخص الملك ومن يحيط به من أهل القصر والمدينة . وهذا الايمان المختلط الذى يمتاز به قوم يصطنعون العلم ولكنهم في حقيقة الامر انصاف متعلمين، فيهم سذاجة ولكنهم يريدون ان يكونوا فلاسفة . وفيهم غفلة ولكنهم يريدون أن يكونوا أذكياء . وفيهم حب للحياة وحرص عليها ولكنهم يريدون أن يتظاهروا وكأنهم يؤثرون الايمان على الحياة . ما أبرع الاستاذ توفيق الحكيم حين صوره في شخص المؤدب غالياس !

أظنك لا تريدني على أن ألخص لك القصة فهي مطبوعة تستطيع أن تقرأها بل يجب أن تقرأها فما ينبغي لمثقف في الادب العربي أن يجهل هذا الاثر الادبي البديع

ولكن وكم أنا آسف للكن هذه . وكم كنت أحب الا احتاج الى املائها . ولكن في القصة عيبان . أحدهما يسوؤني حقا ومهما ألم فيه الكاتب فلن اؤدى اليه حقه من اللوم ، وهو هذا الخطأ المنكر في اللغة . هذا الخطأ الذى لا ينبغي أن يتورط فيه كاتب ما فضلا عن كاتب كالاستاذ توفيق الحكيم قد فتح في الادب العربي فتحا جديداً لا سبيل الى الشك فيه . أنا أكبر الاستاذ ، وأكبر قصته ، وأكبر (الرسالة) عن أن أقف عند هذه الاغلاط القبيحة التي يمس بعضها جوهر اللغة ويمس بعضها النحو والصرف ويمس بعضها الاسلوب وتركيب الجمل . ولا أتردد في أن أكون قاسيا عنيفا وفي أن أطلب الى الاستاذ في شدة أن يلغى طبعته هذه الجميلة وان يعيد طبع القصة مرة أخرى بعد أن يصلح ما فيها من الاغلاط . وأنا سعيد بأن أتولى عنه هذا الاصلاح ان أراد . ولعل ماسيتكلفه من الطبعة الثانية خليق أن يعظه وأن يضطره الى أن يستوثق من صوابه اللغوى فيما يكتب قبل أن يذيعه بين الناس .

أما العيب الثاني فله خطره ولكنه على ذلك يسير لان القصة هي الاولى من نوعها كما يقولون . هذا العيب يتصل بالتمثيل نفسه فقد غلبت الفلسفة وغلب الشعر على الكاتب حتى نسى ان للنظارة حقوقا يجب أن تراعى فأطال في بعض المواضع ، وكان يجب أن يوجز . وفصل في بعض المواضع وكان يجب أن يجمل، وتعمق في بعض المواضع وكان يجب أن يكتفي بالاشارة . ولعله يوافقني على أن من الكثير على النظارة ان يستمعوا في الملعب لهذه القصة الجميلة جدا ، الطويلة جدا . التي تقصها برسكا على غالياس وهي تودعه وقد اعتزمت أن تموت في الكهف مع عشيقها القديس .

هذا العيب عظيم الخطر لانه يجعل القصة خليقة ان تقرأ لا ان تمثل . وأنا حريص اشد الحرص على أن تمثل هذه القصة ، واثقا كل الثقة بأن تمثيلها سيضع يد الاستاذ على ما فيها من عيب فني وسيمكنه من اتقاء هذا العيب في قصصه الاخرى ومن اصلاحه في هذه القصة .

أما بعد فاني أرجو مخلصا ان تترجم قصة مدام خير الى اللغة العربية وان تترجم قصة الاستاذ توفيق الحكيم الى اللغة الفرنسية لتؤدى القصتان ماينبغي ان تؤدياه من تحقيق الصلة الصحيحة المنتجة بين الشرق والغرب .

طه حسين



في الأدب الايطالي الحديث

الرواية في پونتاسياف !

للكاتب الايطالي لوسيو دامبرا

— تابع —

وفعلا، لم تمض ثمانية أيام حتى كانت الغرفة قد أعدت !

وهذا الحادث العظيم ، هذا الحادث الغريب، حادث اصرار « مارك سيريني » على أن تمثل روايته الحديثة ولاول مرة ، في قرية حقيرة لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة آلاف نسمة ، هذا الحادث الذي لا يصدق ، أثارت الصحافة حوله ضجة كبرى ، اقتحمت حدود إيطاليا وأقلقت صحافة أوروبا بأسرها . ولقد كانت هذه القضية رنانة كسائر قضايا « مارك سيريني» ورنانة أيضا ، كانت عودة رئيس الشركة الامريكية من «پونتاسياف» إلى « الستيديو » ، حيث كان المؤلف ، وسيجارته في فمه ، ممتداً على أريكة وثيرة : يفكر بسيدة النافذة الشهية ! ! !

— كل شيء الا هذا ! . . . لقد ذهبت اتعابنا أدراج الرياح : اني أعود من « پونتاسياف » اذ ليس فيها مسرح !!!

— ليس فيها مسرح ؟ هذا أمر عديم الاهمية : ان بناء مسرح لايستغرق أكثر من شهر ، وهو الوقت اللازم للحفظ والمراجعات

— ماذا ؟ ؟ ؟ . . . بناء مسرح جديد ؟ . . . وفي ظرف شهر واحد ؟ ؟ ؟ لم يتحرك « سيريني » . . نظر إلى طاولة عليها رزنامة من المعدن اللماع . وقال :

— أجل ، في شهر واحد ! . . . نحن الآن في سبتمبر ، ولن يزال البرد شديداً حتى في أكتوبر في هذه البلاد ، . . . وبعد ، فان بناء مسرح خشبي يتسع لألفين شخص ، لا يمكن أن يستغرق أكثر من ثلاثة أسابيع

— وتزيينه ؟ . . . وتنميقه ؟ . . . في ثلاثة أسابيع ؟ لن يكون هذا المسرح سوى براكة . . . .

هنا انتفض « سيريني » وأجاب بلهجة قاسية :

لن يتسابق الناس لمشاهدة المسرح ، بل لمشاهدة روايتي ! ! !

— ٤ —

لنختصر : لم ينتجع وسيلة لحمله على تغيير رأيه ، ولو كان رئيس الشركة التي تعاقد معه إيطاليا ، لترك الارباح التي قد تنجم عن هذا الاتفاق ، ولترك المؤلف يسدر في عناده وجنونه، ولكنه كان امريكياً ، وللامريكيين عقل خاص ، وتفكير خاص يميزانهم عن غيرهم . ولم يمض شهر ، حتى كان كل شيء قد تم : حفظت الرواية وروجعت واقيم المسرح في بقعة جميلة . أما ماجرى في « پونتاسياف » في ذلك الوقت : فأمر لايستطاع تصويره او وصفه ، ولا شك أن بينكم اناساً وجدوا فيها ، في ذلك الحين، وهؤلاء وحدهم يستطيعون أن يذكروا كيف احتلت الغرف المعدة للايجار احتلالا لا يفرق عن الاحتلال العسكري بشيء ، وكيف ان الجموع الغفيرة تسابقت الى فلورانسا والى « اريزو » لتبحث لها عن مبيت ، وكيف انها عادت الى « پونتاسياف لتحضر تمثيل الرواية ، وتعود بعد منتصف الليل الى إحدى المدينتين المذكورتين ..ولاشك انهم يذكرون ايضا انه كان بين المتفرجين اناس تقاطروا من اقصى البلاد ، بينهم كثير من النقاد المسرحيين ، ورؤساء شركات التمثيل الاجنبية . . . . وقد كان بينهم صحفيون اضطروا خدمة للفن ان يبيتوا ليلة كاملة في القطار، وان يضيعوا يوما كاملا في ساحة « پونتاسياف » وان يمضوا الليلة ثانية متعبة ، في دائرة البرق ، حيث ظن عامل التلغراف المسكين ، ان الساعة اقتربت ، وان القيامة قامت ! ! !

وليست هذه بالمعركة الاولى التي استبسل فيها « مارك سيريني » بطبعه الهادىء الرزين ، ولكنها كانت أشد المعارك كلها وأحماها وطيساً ، لأن تلك الرغبة الشاذة ، التي شاءت أن تضطر محبي الفن للمجيء الى (پونتاسياف) تركت أسوأ الأثر في النفوس ، حتى أن القادمين كانوا على أتم استعداد لأن يثأروا لانفسهم !

وهكذا فانه قبل أن يرفع الستار بساعتين ، أسرع أصدقاء (سيريني) اليه ، وأخبروه أن الجو مكهرب ، وأن عواصف السخط والغضب لن تلبث أن تصدم الرواية صدمة عنيفة، ربما كانت لا نقوى على احتمالها ، ولكن المؤلف أجابهم بلهجة حازمة :

— إذا كانت لديهم سهام فليسددوها ! ! ! . . واذا كان لديهم قنابل فليقذفوها ! ! ! . . أما أنا ففي غنى عن آرائهم : لا يهمني هذا المساء ، غير رأي شخص واحد !

— امرأة ؟

— طبعاً !!!.. ومن تريدون أن يكون اذن ؟.. وزير ؟ ؟

ولم يزد على ذلك كلمة لأنه كان يحرص كل الحرص على أن يخلص بسره لنفسه . . . أما الناس فقد ذهبوا في الظن كل مذهب . .

— ٥ —

ومع ذلك ، ورغم هذا الحرص فانه لم يضن على به . . من عادة (سيريني) أن يتخلف عن حضور رواياته ، عند تمثيلها لأول مرة ، ومن عادته أيضاً أن يدور حول المسرح كما تدور الفراشة حول الضوء ، حتى اذا أخذ اللهيب بأحد أجنحتها لجأت الى الهرب فاذا نسيت اللهيب وأثره في جسمها . عادت تحوم حول الضوء وحول الخطر ، و (سيريني) يحاول أن يتظاهر بالهدوء . وأن يتحدث عن أشياء لامساس لها بالرواية حتى اذا أصابها الاخفاق . فقد رزانته وشرع يصب جام غضبه طيلة الليلة بكاملها على تلك الجموع المأفونة التي لا تقدر الفن . ولا تفهمه ، ولا تستحق أن تفهمه ، ورماها بأقبح الوصمات وأشنعها

أخذنا نتنزه سوية ، ذلك المساء في ازقة القرية التي استحالت في ساعة من الزمن الى ميدان تتزاحم فيه السيارات ، ويتكدس بعضها فوق البعض الآخر . . وكان الشاعر يبتسم ، ويطلعني بهدوء على الاسباب التي حدت به لأن يثير عليه سخط تلك الجموع الغفيرة ، وكان يقول لي وهو يضغط على يدي :

— أفهمت ؟ . . أفهمت ؟ . . اني اذا كنت امرت الا تمثل روايتي لأول مرة الا في « پونتاسياف » فلأني اريد أن أستثير اعجابها !!.. تلك هي الغاية الوحيدة التي أرغب في ادراكها من غرامي الغريب !

— آه ! . . . لو انك رأيتها في ذلك اليوم ، لصهرك حبها رغم ماأنت عليه من « برود » ، وبعد ، فأنا لست أعتقد ان بين الذكور ، رجالا ينطبق عليهم هذا الوصف ، وإنما هم جميعاً في نظري ، براكين هادئة . تثيرها مشاهدة امرأة ، وتجعلها أشد هياجاً ، من البراكين الدائمة الاستعار ! آه . . لورأيتها وهي تطل من فتحة النافذة ! . . . ها . . . . ها هي . . . . نافذتها !

كانت نافذتها مغلقة ، وهي ذات درفات خضر ، وواجهة وردية . . . كانت محكمة الغلق ، لايتسرب من خصاصها أقل بصيص نور ، فسر « مارك » لذلك ، وقال بلهجة المنتصر :

— لم يبق أحد في داره ! . . . لقد ذهبت « المدينة » بأسرها لمشاهدة روايتي ! . . . وهي ، هي . . . هي في هذه الساعة ، هناك ، مأخوذة بجمال روايتي وقوتها ، تكتسحها موجة الاعجاب التي أردت ان أتغلب عليها بها . . . اني اقدم لها فخراً لايعدله في العالم فخر . . . اقدم لها عيداً ، بل مهرجاناً لايحلم به احد ! . . أي سحر ؟ . . واي عيون ؟ ؟ ؟ آه ! . .

اني لا أتمنى الا أن تبادلني الحب هذه الريفية الحسناء ، أنا الشاعر المتعب . . أنا الشاعر الفتان ، الذي تضايقه النساء ، وتطارده . . تلك النساء اللواتي تجملهن المساحيق ، وتزينهن « الكريمات » المختلفة . . . تلك النساء الكئيبات ، اللواتي يلبسن جوارب بمائتين فرنك فقط . . . تلك النساء الفارغات القلوب ، كبطونهن التي لايملأنها خشية السمنة ! ! !

ان سيدة النافذة ، على نقيض هذا كله : هي بسيطة رشيقة حقيقية الجمال ، لها نفس ، ولها قلب ، ولها مواهب ، ولها نباهة ولقد قرأت في عينيها ذلك الاعجاب اللامتناهي الذي تخصني به وتسبغه علي !

وأنا موقن ان هذه الحسناء قرأت رواياتي كلها ، وانها اصبحت تعرفها ولكن معرفتها بها لايجوز ان تقارن بمعرفة صديقاتي المعجبات — باركهن الله — بما وضعت من روايات ..

تلك الصديقات اللواتى يتسارعن لمشاهدة رواياتى عندما تعرض للتمثيل لأول مرة ، وكأنهن يتسابقن « ليجبرن خاطرى » . . حتى إذا بدأ التمثيل اخذن فى الثرثرة والمغازلة مع عشاقهن فى زوايا المقصورات : انهن لايتقاطرن على المسرح من اجلى ، أو من اجل رواياتى . . كلا ! . . بل ليعرضن على الانظار اثوابهن الحديثة ! .

وألقى نظرة اخيرة على درفات النافذة ، ثم اخذ يتجه نحو المسرح ، كما يتجه الفراش نحو الضوء .

— انى احبها . . احبها حتى العباده ! . . ولاجلها وضعت هذه الرواية ، وقد وضعتها بعاطفة لم اشعر بمثلها من قبل ! . . اقسم لك على ذلك ! . . . تصور . . . تصور انك ذات مساء ، تبصر بين الحضور المرأة الوحيدة التى تحبك وتعجب بك اعجابا لايحد بحـ ود ، ولا يقاس بقياس ، تصور ذلك ، وقل ، ألا تدير « السانفونى » التاسعة ادارة لاتحسن مثلها فى كل وقت ؟ ألا تخرج منها مالم يحلم « بتهوفن » نفسه ان يخرجه منها ؟ ؟ اذن . . انا اليوم احارب هـذه الجماهير كلها . من اجلها هى . إنا احارب باسمها وبجمالها !

ان رواياتى انما هى معارك ، وحروب ، وسباقات ، إذن فهى لاتبعث على التثاؤب والملل ، وإذن فهى لاتدع المتفرجين هادئين ساكنين ، بل تحرك ما فى نفوسهم من عواطف وميول وتحملهم على التفكير

ماذا ؟ . انتصار ؟ . لم نكد ندرك المسرح ، حتى هرع الينا بعض الاصدقاء .

— انتهى الفصل الثانى منذ قليل : نجاح لامثيل له ! . . انتصار لايعدله انتصار ! . . ولكن اى جمهور فى بدء التمثيل ؟ جمهور عبوس حذر ، الا انه لم يلبث ان خفف من حدته بالرغم منه حتى اذا كان التمثيل ، لم يتمالك أيديه عن التصفيق وألسنته عن الهتاف : وهكذا ، لم ينته الفصل الاول حتى ثارت عواصف التقدير ، وانفجرت قنابل الاعجاب . أما الفصل الثانى ، فهو الذى أتم الانتصار وجعل الستار ينزل بين رعود من التصفيق الحادالمتواصل ، والهتاف العالى القاصف ! ! ! . . .وقداضطرت الممثلة « تيريز اندريانى » اكثر من عشر مرات متوالية ان تعود الى المسرح ، لتحية الجماهير المعجبة . .

لها بقية — حلب

ايزاك شموش

بعض مطبوعات

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

تطلب من مركز اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ تليفون ٤٢٩٩٢ ومن المكاتب الشهيرة

م

١٠ مبادىء الكيميا الجزء الأول) للدكتورين أحمد زكى وأحمد

١٠ « « « الثانى)عبد السلام الكردانى

١٢ الكيميا الحديثة للسنة الخامسة الثانوية للأستاذ أمين ابراهيم كحيل

٢٠ مبادىء الميكانيكا للسنتين الرابعة والخامسة الثانويتين للدكتور أحمد عبد السلام الكردانى والأستاذ حسن الجندى

١٦ بسائط الطيران للدكتور أحمد عبد السلام الكردانى

٧٥ البصريات الهندسية والطبيعية للأستاذ مصطفى نظيف

١٠ موجز التاريخ الطبيعى فى علم الحيوان ـ مقرر السنة الرابعة الثانوية للأستاذ محمد كمال

٢٠ تاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات (طبعة رابعة)

٢٥ فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين

٢٠ تاريخ اللغات السامية للدكتور اسرائيل ولفنسن

١٥ مرجريت أو غادة الكاميليا ترجمة الدكتور أحمد زكى

١٥ آلام فرتر ترجمة الاستاذ أحمد حسن الزيات

١٥ رفائيل « « « «

١٢ فاوست ترجمة الدكتور محمد عوض

٥ هرمن ودروتيه ترجمة الدكتور محمد عوض

٧٠ الشاهنامه للدكتور عبد الوهاب عزام

٥ الحاج شلبى للأستاذ محمود تيمور

١٠٠ شرح قانون العقوبات للأستاذ أحمد بك أمين

١٥٠ القضاء الجنائى جزءان للأستاذ على العرابى

٥٠ عقد الايجار للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى

١٥ الامتيازات الأجنبية للأستاذ محمد عبد البارى

١٠ مبادىء الفلسفة ترجمة الأستاذ أحمد أمين

١٥ فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين

م

١٠٠ علم الأخلاق (لأرسطو) ترجمة الأستاذ أحمد لطفى السيد بك

٢٠ كتاب الأخلاق للأستاذ أحمد أمين

١٤ كتاب الأخلاق للمدارس الثانوية للاستاذ أحمد امين

٢٠ كتاب الأخلاق لسميلز ترجمة الاستاذ محمد الصادق حسين بك

٢٠ أصول التربية جزء اول

٢٠ أصول التربية جزء ثان |

٣٠ أصول علم النفس جزء أول | للاستاذ أمين مرسى قنديل

٢٥ أصول علم النفس جزء ثان |

١٠ كتاب الحرية والدولة للاستاذ محمد عبد البارى

١٥ الانتصار فى الرد على ابن الروندى تأليف ابن الخياط

٤٠ الكون والفساد لارسطو ترجمة الاستاذ احمد لطفى بك السيد

٢٠ فجر الاسلام طبعة ثانية) تأليف الاستاذ أحمد أمين

ضحى الاسلام الجزء الاول)

٢٥ القرن التاسع عشر للدكتور حسين حسنى والأستاذ محمد قاسم

٤٠ فتح العرب لمصر لبتلر ترجمة الأستاذ فريد أبو حديد

٢٦ المسألة المصرية لروثستين ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى والأستاذ محمد بدران

١٠ الثورة الفرنسية للاستاذ حسن جلال

٨ صلاح الدين وعصره للاستاذ محمد فريد أبو حديد

١٥ تاريخ اليهود فى بلاد العرب للدكتور اسرائيل (ولفنسن)

١٥ تاريخ العصور الوسطى للاستاذ محمد فريد ابو حديد

٣٥ ديوان التحقيق (محاكم التفتيش) والمحاكمات الكبرى للاستاذ محمد عبد الله عنان

٢٥ أسباب الحرب العالمية ترجمة الأستاذ محمود ابراهيم الدسوقى

٤٨ سلسلة الجغرافية الحديثة ٥ أجزاء لخمسة من كبار الاساتذة

٢٠ حياة نابليون للاستاذ حسن جلال

٣٠ نهر النيل للدكتور محمد عوض

طبع بمطبعة السياسة شارع المناخ بمصر